



روايات مصرية للجيب -

حبى المعذب

Looloo

زهور

٢٧

www.dvd4arab.com



سريفة شوقي

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للتطبع والنشر والتوزيع
٩٠٨٣٤٤ - القاهرة - ت. ٩٠٨٣٤٤

١ - أحبته دائماً ..

ارتسمت ابتسامة فرحة على وجه (إيمان) ، وهي
تتطالع إلى ذلك الرجل الوقور ، الجالس أمام مكتبه ،
يقلّب مجموعة من الأوراق بين يديه ، ثم لم تلبث أن
اندفعت نحوه ، وطوّفته بساعديها ، هاتفة في مرح :
- حمداً لله على سلامتك يا عمّي ، ما أسعدني وأنا
أراك قد استرددت صحتك ! وصرت على خير مايرام .
تخلى الرجل عن أوراقه ، وربّت على ساعدها ،
وابتسم في حنان ، وهو يقول :

- الفضل يعود لك ، ولعنايتك الفائقة بي ، خلال
مرضى .. لقد أرهقتك كثيراً يا بنيّتي ، وجشمتك
ما لا تطيقين .

وشرّد لحظة ، قبل أن يستطرد :

- كلما تذكّرت قسوتي معك ، ومع أهلك في
الماضي ، وكيف تخلّيت عنكما ، وأنت بعد طفلة
صغيرة ، وأخى يواجه الفقر والحاجة ، وأنا أرفل في
الراء والأنانية .

ابتسمت ، ونغممت محاولة التسرية عنه :

— تلك سنوات بعيدة ، ولئت ومضت ، ولقد
عوضتني عنها كثيراً ، حتى أنني لم أشعر لحظة واحدة
باليتم ، بعد وفاة أبي .. لقد كنت لي نعم الأب يا عماء .
أمسك يدها ، وهو يقول :

— أعتقد أني قد كفرت عن ذنبي حقاً
يا (إيمان) ؟ .. أيمكن أن يكون أخي قد غفر لي
في قبره ما ارتكبته في حقه ، في حياته ؟

جلست على ركبتيها ، وقبّلت يده ، قائلة :

— لقد أخبرتك من قبل ، أن أبي لم يكن يحمل
لك أية ضغائن ، لقد ظلّ ، حتى آخر لحظة في عمره ،
يكنّ لك مشاعر الحب والأخوة ، ويقول لي دوماً
إنك لست بالسوء ، الذي قد أتصوره ، وأن بداخلك
بقعة بيضاء ، تحتاج إلى من يبرزها ، ولقد أثبتت لي
الأيام صحة ذلك ، فخذ جثث إليك ، وعمري لا يزيد
على أحد عشر عاماً ، بعد وفاة أبي ، وأنا أجد منك
كل الحب والحنان والرعاية .

***** 6 *****

هَبَّ من مقعده ، قائلاً على نحو يوحى بعدم الرضا :
— ليس هذا كل ما أريده لك ، هناك أشياء
كثيرة ، أبغى منحك إياها قبل موتي .

هَبَّت واقفة بدورها ، وهي تقول :

— لماذا تذكر الموت يا عمّاه ؟ .. لست أحب أن
أسمعك تذكر ذلك ، ولست أحب أن أتصور فقدانك ..
فقد أبي الثاني .

استدار يواجهها ، قائلاً :

— الموت حقيقة ، لا يمكننا تجاهلها ، والمهم
هو أن نُعدّ أنفسنا لما سيترتب على مفارقتنا للعالم ،
ولقد عقدت العزم على أن أمنحك سعادة دائمة من
بعدي يا بنيتي .

قالت مستعطفة :

— إذا أردت أن تسعدني حقاً ، فاصفح عن ابنك
الوحيد (طارق) وأعده إلى المنزل ، ويكفيه بُعد
خمس سنوات كاملة .

ابتسم عمها في حنان ، قائلاً :

***** 7 *****

— كَأَنِّي بِكَ تَقَرُّثِينَ أَفْكَارِي يَا (إِيمَان) .. لَقَدْ
صَفَحْتَ عَن (طَارِق) ، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَتَنِي لَسْتُ
رَاضِيًا عَن أُسْلُوبِ الْحَيَاةِ ، الَّذِي اخْتَارَهُ لِنَفْسِهِ ،
وَلَا تَتَصَوَّرِي أَنَّهُ كَانَ مِنَ السَّهْلِ عَلَيَّ أَنْ أَحْتَمِلَ فِرَاقَهُ
كُلَّ هَذِهِ السَّنِينَ ، وَلَكِنَّهُ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَدْفَعَ ثَمَنَ
أَسَاوِبِ حَيَاتِهِ .

أُطَلِّتُ الْفَرَحَةَ مِنْ عَيْنَيْهَا ، وَهِيَ تَقُول :

— أَيْعْنِي هَذَا أَنَّهُ .. ؟

قَاطَعَهَا مَبْتَسِمًا :

— لَقَدْ أُرْسَلْتُ إِلَيْهِ ، وَسَيَكُونُ هُنَا خِلَالِ سَاعَاتِ .

تَعَلَّقَتْ بِعَمَّاهُ ، وَهِيَ تَهْتَفُ فِي سَعَادَةٍ :

— أَحَقًّا يَا عَمَاهُ ؟ .. أَسَيَعُودُ إِلَيْنَا (طَارِق) حَقًّا ،

بَعْدَ كُلِّ هَذِهِ السَّنِينَ ؟

أَبَعَدَهَا عَمَّاهُ فِي رَفَقٍ ، وَتَفَحَّصَهَا بِعَيْنَيْهِ ، وَكَأَنَّمَا

يَحَاوِلُ أَنْ يَقْرَأَ فِي وَجْهِهَا السِّرَّ الْحَقِيقِي لِتِلْكَ السَّعَادَةِ

الْغَامِرَةِ ، ثُمَّ لَمْ يَلْبِثْ أَنْ سَأَلَهَا مَتَخَابِثًا :

— مِنَ الْغَرِيبِ أَنْ تَسْعِدَكَ عَوْدَةُ (طَارِق) إِلَى

***** ٨ *****

هَذَا الْحَدِّ ، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ مَعَامِلَتِهِ السَّيِّئَةِ لَكَ ، وَتَعَالِيهِ
الْبَغِيضِ عَلَى ابْنَةِ عَمِّهِ الْفَقِيرَةِ .. أَتَعْلَمِينَ ؟ .. كُنْتُ
أَشْعُرُ دَوْمًا أَنَّهُ لَا يَبْغِضُكَ إِلَى هَذَا الْحَدِّ ، وَلَكِنَّهَا
الْفَطْرَسَةُ الَّتِي وَرَثَهَا عَنْ وَالِدَتِهِ (رَحِمَهَا اللَّهُ) .. وَالَّتِي
تَسَبَّبَتْ فِي إِفْسَادِهِ .

بَدَأَ وَكَأَنَّ (إِيمَان) قَدْ أَسْقَطَتْ مِنْ ذَاكِرَتِهَا كُلَّ

تِلْكَ الذِّكْرِيَّاتِ السَّيِّئَةِ ، وَهِيَ تَقُول :

— لَقَدْ أَصْبَحَ الْآنَ فِي الثَّلَاثِينَ مِنْ عَمْرِهِ يَا عَمَّاهُ ،

وَلَسْتُ أَظُنُّ أَنَّهُ يَحْتَفِظُ بِنَفْسِ الطِّيشِ وَالرُّعُونَةِ .

عَادَ الْعَمُّ يَتَفَحَّصُهَا بِعَيْنَيْهِ ، قَائِلًا :

— إِنَّكَ مُسْتَعِدَّةٌ دَوْمًا لِلصَّفْحِ عَنْهُ ، وَنَسْيَانِ كُلِّ

مَسَاوِيئِهِ .. إِنَّكَ تُحْبِيئُهُ .. أَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟

تَضَرَّجَ وَجْهَهَا بِحُمْرَةِ الْحُجْلِ ، وَأَطْرَقَتْ أَرْضًا ،

دُونَ أَنْ تُحِيرَ جَوَابًا ، فَرَفَعَ عَمَّاهُ وَجْهَهَا إِلَيْهِ ، وَعَادَ

يَتَأَمَّلُهَا فِي حَنَانٍ ، قَائِلًا :

— أَمَا زِلْتَ تُحْبِيئُهُ ؟

لَمْ تَدْرِ بِمِ تَجِيبُ ، وَارْتَبَكَتْ ، وَلَكِنْ الْجَوَابُ

***** ٩ *****

أطل من عينيها .. نعم .. إنها تحبه ، وقد أحبته دوماً ،
منذ كانا صغيرين ، ولقد ظلّ أمير أحلامها ، على الرغم
من قسوته تجاهها .. إنها لا تذكر اهتمامه بها يوماً ، بل
تذكر صفعاته ، وتحطيم عرائسها ، كلّما حاولت
التقرب إليه ، وإهماله وإغفاله لها في شبابه ، ونزواته
وعلاقاته المتعدّدة بالفتيات ، والتي كانت تحاول
إخفاءها عن أبيه ، على الرغم من غيرتها الشديدة ، وحزنها
وألمها ، كلما رآته في صحبة إحدى الحسنات اللاتي
يتهاقن عليه دوماً ، واللاتي سلبن كل اهتمامه ، حتى أنهنّ
لم يتركن له مجالاً للشعور بحبها الكبير له ، فاكتفت
بالاحتفاظ به حزيناً في قلبها ، ومحاولة إخفائه عن
الجميع ، عدا عمها ، الذي أدركه بفراسته ..

وكم آلمها ذلك الحديث ، الذي استمعت إليه
بالمصادفة ، بين عمها و (طارق) ، حينما أراد الأب
أن يلفت نظر ابنه إلى حبها له ، ويدعوه إلى اختيارها
زوجة ، فإذا (طارق) يهتف في استنكار واستخفاف :

***** ١٠ *****

— (إيمان) ؟ ؟ .. تلك البلهاء !! .. ابنة السائق !!
أتظنني أرضى الزواج بمثلها ؟ !

لم تنسَ ذلك اليوم أبداً ، ولن تنساه طيلة عمرها ،
فقد أدمت العبارة فؤادها ، فأسرعت إلى حجرتها ،
وألقت نفسها على فراشها ، وراحت تبكي حتى الصباح
لما أصاب كرامتها وأحاسيسها من جراح ، ولكن
العجيب أنها — وعلى الرغم من ذلك — ظلت تحبه ..
لقد تصوّرت أنها ستنتزعها من قلبها ، بعد تلك الليلة ،
ولكن لم تكد الشمس تشرق ، حتى عاد حبه يشرق
مرة أخرى في قلبها ، واعترفت بأنها تحبه ..

تحبه بالرغم من قسوته ، وبالرغم من إهاناته ..
بالرغم من كرامتها الجريحة ، وكبريائها المطعون ..

لا تملك سوى أن تحبه ..

وتلك هي نقطة ضعفها ..

هذه المرة أيضاً أدرك عمها — بفراسته — ما يدور
داخلها ، خلال صمتها الطويل ، الذي أعقب سؤاله

***** ١١ *****

لها ، فدعاها إلى الجلوس بجواره ، وقال في لهجة تشف
عن تقديره لها :

— إننى أعتمد على حبك الكبير له يا (إيمان)
فهو ليس سيئاً كما يبدو .. إنه مثلى ، يحمل فى داخله
بقعة بيضاء ، تحتاج إلى من يكشف الغطاء عنها ،
ويدفعه إلى طريق النجاح والتقدم والخير ، ولست
أجد من يصلح لهذا سواك ، فالإنسانة التى تظل على
حبها لشخص واحد ، طوال كل هذه السنين ، على
الرغم من الفراق والقسوة والإساءة ، هى بالضرورة
ذات قلب كبير ، ومشاعر عظيمة ، وبفضلها سنجعل
من (طارق) رجلاً آخر بإذن الله .

تطلعت إليه فى حيرة ، مغمضة :

— لست أفهم يا عمّاه ؟ .. ما الذى تريدنى أن
أفعله ؟

تطلّع إليها لحظات فى صمت ، ثم قال :

— سأشرح لك كل شيء .. فقط عدينى أن تتخلى
موقتاً عن كبريائك وعنادك ، وتنفذى ما أطلبه منك .

***** ١٢ *****

تطلعت إليه بعينين متسائلتين ، وراح هو يشرح ،
ويشرح .. ويشرح ..

غمغمت (إيمان) وهى تتطلع إلى وجهها فى
المرآة :

— أسيدى بعض الاهتمام بى هذه المرة يا ترى ؟
إنها لا تذكر اهتمامها البالغ بأناقها وزينتها ، منذ
وقت طويل ، مثلما تفعل الليلة ، وهى تعلم أنها ليست
على قدر وافر من الجمال ، قادر على خلب الأبواب ،
 وإدارة الرءوس ، ولكنها مقبولة وجذابة على الأقل ،
وإن كانت تتمنى لو كانت ملكة جمال ، فى هذه الليلة
بالذات ..

ليلة عودته ..

كانت تتمنى لو رأت فى عينيه نظرة اشتياق
أو لطفة واحدة .. أو لمسة حنان ..

وفجأة سمعت جرس الباب .. لقد حضر .. إنه
الآن أمام الباب .

***** ١٣ *****

٢ - مواجهة قاسية ..

اكتسحها زلزال من المشاعر المتشابكة ، وهي
تتطلع في لهفة إلى قامته المديدة ، وعينيهِ العسليتين ،
ذواتا البريق ، وبدا لها متعباً ، ترسم قسماته معاناة
سنواته الأخيرة ، وإن بقيت له صفتان ، لم تبدل ..
سحر عينيهِ النفاذتين ، وتعاليه البغيض ، الذي
كرهته دوماً ..

ودون أن يلقي كلمة واحدة ، تشير إلى افتقاده
لها ، طوال تلك السنين ، سألها في برود :

- أين أبي ؟

غمغمت في تلثم :

- إنه ينتظر في الداخل في ..

قاطعها وهو يزيجها جانباً ، ويدلف إلى الداخل ،
ثم توقف في منتصف الرّدهة ، وأدار بصره فيما حوله ،
وكأنما يسترجع ذكرياته القديمة مع المكان ، على حين
أغلقت هي الباب ، ووقفت خلفه ، قائلة :

خفق قلبها في شدة ، وهي تقفز درجات السلم ،
في طريقها للدور السفلي ، والخادم في طريقه ليفتح
الباب ..

وفجأة أيضاً صاح عمّها في الخادم ، يأمره بترك
الباب ، والعودة إلى الداخل ، ثم التفت إليها ، قائلاً :
- افتحي أنت ، وهاتيه إلى حجرتي .. وتذكّري
أنني أريدك قوية كما اتفقنا .

لم يكن ذلك بالسهولة التي يتصورها ، ولا التي
تصورتها هي .. لقد شعرت بثقل قدميها ، وهي تهبط
الدرج ، وتلاحقت أنفاسها المضطربة ، وكأنها تريد
أن تنزع منها قلبها ؛ ليسبقها إليه ..

وفتحت الباب ..

ورأته ..

— حمداً لله على عودتك يا (طارق) .. لقد
افتقدناك كثيراً .

بدا وكأنه لم يسمعها ، وهو يلتفت إليها ، قائلاً في
خشونة :

— أين هو ؟

أشارت نحو حجرة الأب ، مغممة :

— هنا .. لقد طلب مني أن أصحبك إليه

تطلع إليها في تعال ، قائلاً :

— إنني أعرف طريقى .

ثم اتجه نحو الباب ، وطرقه عدة طرقات سريعة ،
ثم دخل إلى حجرة أبيه ، ولم يكذب يفعل حتى تلاشى
من ملامحه الاستعلاء والتجهُّم ، واكتست بخليط من
الاضطراب والحنين والحجل ، لدى رؤيته أباه ، على
حين أسدل الأب على وجهه قناعاً من الجمود ، يخفى
مشاعره الجياشة ، التي تحركت في قوة ، حينما رأى
ابنه أمامه ، بعد غياب خمس سنوات ، وسمعه يغمغم :

— كيف حالك يا أبى ؟

***** ١٦ *****

نهض الأب من مقعده ، ووقف في مواجهته ،
وهو يقول في خشونة مصطنعة :

ما الذى وصل إليه حالك أنت ؟ .. ضائع ؟ ..
متشرد ؟ .. تتسكع في شوارع (أوربا) ، وتنقل
من عمل وضيع إلى آخر ، وبعد أن تنفذ نقودك ،
وتبلغ حالة يرثى لها ، ترسل الرُّسُل لاستعطافى ،
وإعلان ندمك .. ألم يكن هذا هو ما حذرته منه منذ
البداية ، حينما أبيئت أن تستمع إلى نصيحتى ، وتبقى
هنا لإدارة المصنع .

— إننى لم أرفض .. أنت طالبتى بترك إدارة
المصنع ، وبمعنى أدق .. طردتني .

— لأنك فشلت في الحفاظ على الثقة التي أوليتها
لك ، وبلغ بك الأمر حدَّ اختلاس أموال المصنع ،
وبعثرتها على نَزَواتك ، ومظهر الكاذب .. إنك
فاشل دوماً ، لم تنجح في نيل شهادة جامعية ، ولا في
إدارة المصنع ، وحتى في الأعمال الوضيعة ، التي
زاولتها في (أوربا) .. لقد قلت — قبيل سفرك —

***** ١٧ *****

أنك ستثبت لي قدرتك على النجاح من دوني ، فأين هو ذلك النجاح ؟

شعر (طارق) بالثورة تعربد في أعماقه ، إزاء تقريع والده الغليظ له ، وكاد يعلن احتجاجه ، ويغادر المنزل مرة أخرى ، لولا أن تذكر حالته المزرية ، بعد نفاذ نقوده ، وحاجته الماسة لمساعدات أبيه ، بعد أن لم يعد بإمكانه التمرد ، وبعد أن أثبت فشله وعجزه ، فلم يجد أمامه سوى الامتثال والخضوع واستدرار العطف .. وكما آلمه أن يصل به الأمر إلى ذلك ، ليس لأنه يفعل ذلك أمام أبيه ، وإنما لأنه يفعله بدافع من هزيمته ، وعجزه عن إثبات قدرته على النجاح ، وإثبات أن اختلاسه لنقود المصنع كانت حدثاً لا يمكن أن يتكرر ، وأنه وليد تدليل والدته له ، حينما كان والده مشغولاً عنه بجمع الأموال ، والذي تغلغل في أعماقه ، وأفسد شخصيته الضعيفة دوماً ، أمام المال والنزوات ..
وسمع أباه يهتف :

***** ١٨ *****

— تعالى يا (إيمان) .

ارتجفت (إيمان) ، لدى سماعها النداء ، وترددت لحظة ، ثم دفعت الباب ، ووقفت إلى جواره مطرقة ، مغممة :

— أريد شيئاً يا عمي ؟

— نعم ... ادخلي ، وأغلق الباب خلفك .
ثم تحرك نحوها ، وأحاط بكتفها بإحدى ذراعيه ، وهو يتطلع إلى ابنه ، قائلاً :

— انظر إلى ابنة عمك ، التي كنت تسخر منها .. إنها تساوي في نظري عشرين شخصاً مثلك ؛ فهي ناجحة في كل عمل تؤديه .. حصلت على بكالوريوس التجارة بنجاح ، وتشاركني الآن إدارة المصنع على نحو رائع ، أمكنها — من خلاله — أن تحقق أرباحاً خيالية ، لم أكن أتوقعها أبداً ، بالإضافة إلى أنها تدبر هذا المنزل أيضاً ، وتنظم كل صغيرة وكبيرة فيه ، دون الاعتماد على مساعدة الخدم ، وفوق هذا وذاك تملك من الحنان والحب والإخلاص ما لم أجده في

***** ١٩ *****

أى مخلوق آخر ، فلقد قضت الليالى ساهرة ، ترعافى
فى أثناء مرضى ، حينما كنت أنت تنسكع فى (أوربا) ،
دون أن ترسل حتى خطاباً واحداً ، فيما عدا ذلك الذى
تستجدى فيه عودتك .. هذه هى الفتاة ، التى كنت
تعالى عليها دوماً لفقر أبيها ، وتعاملها معاملة الخدم ..
إنها كانت لى بمثابة التعويض عن خيبة الأمل التى
منيت بها فيك .

لم يعد (طارق) يحتمل ، خاصة وهو يلقى كل
ذلك التقريع ، على مرأى من (إيمان) ، فزفر قائلاً :

— أبى .. ألا يكفيك ذلك ؟ .. أرسلت تدعونى
لتجريحى وإهاتى ؟ .. لقد تصورت أنه قد آن أو ان
الصفح ، وأنه يمكننا أن نسدل الستار على الماضى !

حاولت (إيمان) أن تخفف من وطأة الموقف ،
فرسمت على وجهها ابتسامة شاحبة ، وهى تقول :

— نعم .. هذا ما دعا عمى إلى استدعائك .. سيفتح
صفحة جديدة ، ويمزق كل الأوراق القديمة .. أليس

كذلك يا عمى ؟ .. أوكد لك أنه سيكون الرجل الناجح
الذى تتمناه .. فقط امنحه الفرصة .

تضاعف شعور (طارق) بالسخط ، إزاء تدخل
(إيمان) ، وإلقائها الوعود على لسانه ، فقال فى حدة :
— أبى .. ألا يمكننا أن نتحدث بمفردنا ؟
تجاهله الأب تماماً ، وهو يحول عينيه إلى (إيمان) ،
قائلاً :

— أتضمنين لى ذلك ؟

تلعثمت ، وهى تقول :

— من الواضح أنه يشعر بالندم ، على كل
ما ارتكبه من أخطاء فى الماضى ، وأنا أثق فى أن لديه
من القوة والإرادة ما يكفيه ، ليصبح الرجل الذى
ترجوه .

أدهشت عبارتها (طارق) تماماً ، فقد بدت له
قوية الإرادة ، على عكس ما كان يتصوره فيها من
ضعف فى الماضى ، وكانت تتحدث عنه بثقة وتفاؤل
وحماس ، تفوق ما يشعر به هو نفسه ، ولم يدر

أأسعده ذلك أم زاد من سخطه ، حتى قطع عليه والده
حبل أفكاره ، ويقول لـ (إيمان) :

— هذا الضمان لا يكفي .

ثم التفت إلى (طارق) ، مستطرداً :

— لقد فكّرت في الأمر طويلاً .. إننى أريدك

رجلاً يُعتمد عليه ، خاصة وقد تقدّم بى العمر ،
وأصبحت أحتاج إلى من يدير ثروتى ، ويحافظ عليها .

صمت وهو يتجه نحو مكتبه ، ويجلس خلفه فى وقار ،

فابتسم (طارق) ، وبدأ له الحديث على هذا النحو
مشجعاً ، واستمع فى اهتمام إلى والده ، وهو يردف :

— ولكننى ما زلت لا أثق بك ، فما زلت فى

نظرى ذلك الشاب الطائش العاثر ، الذى يمكنه أن
يبدّد كل ثروتى ، التى جمعتها بالجهد والعرق ، إرضاءً

لنزواته ، وحياته اللاهية ، التى نشأ فيها ، وما أخشاه
بعد موتى أيضاً ، إذا ما آلت إليك ثروتى بالميراث ،

أن تسلب هذه الفتاة المسكينة حقوقاً أدين بها لها ،
ولأبيها ، جزاء ما ارتكبته فى حقهما من جهة ،

وما منحتنى هى إياه من جهة أخرى ؛ لذا فقد قررت
أن أعقد بيعاً صورياً ، أمنح كلاً منكما بمقتضاه نصف
ثروتى ، لقاء مبلغ شهرى متفق عليه ، وفى المقابل
أحتفظ بورقة تثبت ملكيتى لثروتى طيلة عمرى ،
وعدم نفاذ عقد البيع إلا بعد وفاتى ، حتى لا تُساء
إدارة أو استخدام الثروة .

تطلّع (طارق) إلى والده فى حيرة ، فتابع هذا
الأنخير :

— سيكون لك نصف مصنع الزجاج ، ولـ (إيمان)
النصف الآخر ، على أن تتولى هى الإدارة ، والإشراف

على كل الأمور ، وتعمل أنت تحت إمرتها ، مقابل
راتب شهرى تحدّده هى ، ولن يخلّ هذا بحقوقك فى

الأرباح طبعاً ، ولكن سيكون من سلطتها إبعادك عن
العمل ، إذا ما قرّرت عدم كفايتك ، كما سيكون

من حقى إلغاء عقد البيع ، وتحويل قيمته الكاملة إلى
ابنة عمك ، إذا ثبت لى أنك لم تكن تستحق تلك

الفرصة الأخيرة ، التى منحتها لك .

اكفهر وجه (طارق) ، وبدت له الأمور
متعسفة في حقه ، فأعلن عن تبرمه ، قائلاً :

— ولكن هذا تحايل وظلم ، فأنا ابنك الوحيد ،
وصاحب الحق في ثروتك ومصنعك ، أما تلك الفتاة ،
فهي لا تستحق عُشر ما تمنحها إياه من ثروة وامتيازات .
أجابه والده في غضب :

— لو أردت الحقيقة ، فأنت الذي لا يستحق شيئاً
من كل ما أعرضه عليك ، فتلك الفتاة ، التي
تحدث عنها بهذا الأسلوب الفج ، هي ابنة عمك ،
ثم هناك الشرط الأخير .. أهم شروط العقد .

نعمم (طارق) في دهشة :

— أي شرط ؟

تطلع إليه والده في صرامة ، وهو يقول في حزم :

— ستتزوج من ابنة عمك .. يوم الخميس القادم ..
هذا هو أهم شروط العقد .

٣ - الخيار الصعب ..

مضت لحظة من الصمت والدهشة والاستنكار ،
قبل أن يهتف (طارق) في عصبية :

— لا يمكنك أن تفرض على امرأ كهذا .

— ينبغي أن تحمد الله وتشكره على هذا الشرط ،

فابنة عمك هي الثروة الحقيقية ، التي أهدىها لك ،
ويقيني أنك لا تستحقها .

— ولكن هذا منتهى التعسف والإجحاف ، فمن
حق اختيار الزوجة التي تناسبني .

— في هذه الحالة سيكون عليك أن تغادر منزلي ،
دون أدنى حقوق لدي .

انهار (طارق) فوق أحد المقاعد ، مغمماً في
يأس :

— أنت تعلم أنني في موقف لا يسمح بالاختيار ،
ولكنني لم أتصور أنك ستفعل بي هذا ، مهما حدث
بيننا في الماضي ، فلقد ظننت أنك قد صفحت عني ،

وتريد أن تفتح صفحة جديدة معي ، ولكن يبدو
أنك قد استدعيتني لإذلالى .

تخلّى الأب عن هدوئه ، وهو يقول فى حِدَّة :
— إذلالك ؟! .. أهذا هو كل تقدير لك لما يفعله
أبوك من أجلك ؟! .. أدعوك لأسدّد عنك كل ديونك ،
وأنتشلك من حياة الضياع والتشرّد ، وأغفر لك
اختلاسك لأموالى ، وفوق هذا أمنحك نصف ثروتى ،
وأنا حتى أرزق ، وأقدم لك زوجة يتمناها أى رجل ،
فتهمنى بمحاولة إذلالك ؟ .. يالك من جحود !

أخذ عقل (طارق) يعمل فى سرعة ، محاولاً
التغلّب على انفعاله ، وأدرك أنه أمام فرصة نادرة ،
لا تتكرّر ، وأن عليه ألا يفسدها بانفعاله ، بل أن
يتخلّص من كل طيشه ونزّقه ، ويتشبّث بفرصة
وضع يده على نصف المصنع ، على الرغم من ثقته
بضرورة أن يصبح المكان كله له ، وعليه أن يروّض
نفسه على قبول ابنة عمه ، التى كانت دائماً على هامش
حياته ، والتى عرفت كيف تتسلل إلى قلب أبيه ،

بكل الدهاء والنفاق ، إلى الحد الذى أقنع أباه بتنازله
لها عن نصف ثروته بتلك السهولة ..

إنها معركة عليه أن ينازل ابنة عمه فيها بنفس الأسلحة
والدهاء ، وعليه أن يمنحها قدرأ أكبر من الاهتمام ،
ويرضى بها زوجة ، مادام هذا سيعاونه على الإمساك
بكل خيوط اللعبة فى النهاية ، وإقناع أبيه بأن الفتاة
لا تستحق ثقته ، ويثبت له أنه الرجل الذى يمكنه أن
يعتمد عليه ، ويثق فيه .

وحتى لو لم ينجح ، فعلى المدى الطويل ، يمكنه
أن يتخلّص منها ، ويحوز كل شيء ، ولكنه لن يسمح
لها أبداً بفرض سيطرتها عليه إلى الأبد ..

طال صمته ، وهو يدير كل تلك الأفكار فى رأسه ،
وقطع أبوه صمته ، وهو يقول فى حسم :

— ما قرارك ؟

رفع رأسه إليه ، قائلاً :

— إننى أوافق على كل شروطك يا أبى .

— إنك توافق على عقد قرانك ، على ابنة عمك ،
الحميس القادم إذن .
— كما تحب يا أبي .

ألقى (طارق) عبارته الأخيرة في استسلام ، ثم
استدار يتطلع إلى ابنة عمه في حيرة ..
كانت تقف صامته ، دون أدنى انفعال ، دون
أن تبدى رفضاً أو تمسحاً ، تنقذ به كبرياءها كأنثى ،
وهي تعرض كجزء من صفقة عليه !! ..
لأنها لم تحاول حتى أن تفتعل احتجاجاً واهياً !! ..
وقال (طارق) لنفسه في ازدراء :

— يبدو أن طموحها أقوى كثيراً من كبريائها !
لم يكن يعلم أن صمتها وامثالها يرجعان إلى اتفاق
سابق مع والده ، يهدف إلى إجباره على اتخاذ سبيل
الخلاص من ضياعه ، فلقد اختبر الأب ابنة أخيه ،
وأدرك ما تحمله من صفات حميدة ، وقوة شخصية ،
وحب لابنه ، وأدرك أيضاً أن (طارق) يحتاج إلى
فتاة مثلها ، لتدفعه إلى الطريق القويم ، وأن هذا يسعده

***** ٢٨ *****

أيّما سعادة ، ويطمئنه على مصير ثروته من بعده ،
ومصير مصنعه ، الذي أنشأه بالجهد والعرق ..

وفي هدوء ظاهري ، غادرت (إيمان) الحجرة ،
واتخذت لنفسها مقعداً قصياً في الشرفة ، غاصت داخله ،
وشرد فكريها ، وهي تتطالع إلى الحديقة ..

لقد قضت في هذا المنزل ثلاثة عشر عاماً ، دون
أن تتطالع لحظة إلى ثراء عمها ، أو تفكر — مجرد
تفكير — في نيل جزء منه ، على الرغم من معرفتها أن
هذا المال كان يعود كله إلى أبيها ، قبل أن يفرط فيه
لعمها بطبيعته المعهودة (رحمه الله) ..

ولكن أحداً لا يصدق ذلك ..
أقاربها .. الخدم .. العاملون بالقصر .. كلهم
يرمونها بنظرات خبيثة ، وحتى (طارق) ، لاريب
أنه يشاركهم شكوكهم ، ويتصور أنها تسعى للفوز
بكل الثراء والقوة ..

لا أحد منهم يتصور أن قمة آمالها كانت الزواج من
(طارق) ، وحتى ذلك بدا لها حلماً عسير التحقيق ،

***** ٢٩ *****

طالما راود خيالها ، ثم هاهو ذا يتحوّل إلى حقيقة ، لم
يعد يفصلها عنها سوى عدد يسير من الساعات ، وبعدها
يُعقد قرانها على فارس أحلامها ، الذى منحته كل
حبها ، على الرغم من معاملته الفظة لها ، وقسوته ومساوئه .
ربّما لم تكن هذه هى الوسيلة التى تصوّرتها
لتحقيق حلمها ، فكم رأته بعين الخيال يهرع إليها ،
فاتحاً ذراعيه فى لفة وشوق ، معلناً أنها الفتاة الوحيدة
فى هذا الكون ، التى يتمناها زوجة ..

كانت تحلم بأن ترى فى عينيه العسليتين نظرة حب
واحدة ، وأن تشعر فى لمسة أصابعه بدفقة حنان
نادرة ..

إنها لا تستطيع أن تخدع نفسها ، وتقنعها بأنها قد
ارتضته زوجاً ، لإرضاء عمها ، والامثال إلى رغبته
فحسب ، ولا لأن هذا واجب إنسانى ، يهدف إلى
تقويم ابن عمها ، وإعادته إلى الصواب ..
لقد وافقت لأنها تحبه ..

وربّما .. ربّما حينما يلمس مشاعرهما الحقيقية

***** ٣٠ *****

عن قرب ، ويدرك صدق إحساسها نحوه ، وعمق
عواطفها المتأصلة فى أعماقها منذ الطفولة .. ربما عندئذ
يتحوّل الحلم إلى حقيقة .

ربّما كان ناقماً عليها الآن ، ولكنها ستتجاهل
ذلك ، فلن تجد من ترعاه وتعنى به خيراً من نفسها ،
على الرغم من كل ما عرفهنّ طوال حياته العابثة ،
والشئ الوحيد الذى يُبرّر موافقتها على الزواج منه ،
فى ظل هذه الظروف غير الكريمة ، هو أنها تدافع عن
حبها ، وتخشى أن يفلت منها ، فلا تعرف فى حياتها
سوى الحزن والندم ..

انتزعها من أفكارها وشرودها إقباله نحوها ،
وجلوسه إلى جوارها ، وهو يتطلّع بدوره إلى
الحديقة ، فرنت إليه بظرف عينها ، وهى تحاول
استكشاف ما يدور فى عقله ، دون أن تحاول أن تبدأ
معه حديثاً ، مما جعل الصمت يخيم عليهما طويلاً ، قبل
أن يقطعه هو ، قائلاً :

— لم أكن أنتظر منك ذلك الرضوخ الصامت ،

***** ٣١ *****

حينما كان أبى يملئ على شروطه ، التى كان زواجنا أحدها .
غمغمت فى هدوء و رصانة :

— ما الذى كنت تنتظر منى أن أقوله ؟

قال ، وقد تسَلَّلت إلى صوته نبرة تهكميَّة :

— كنت أنتظر منك احتجاجاً ، أو اعتراضاً ..

أو حتى شيئاً من التمتع المصطنع ، فهذا ما ينبغى ،
من فتاة تعتز بكرامتها وكبريائها ، حينما يُفرض زواجها
فرضاً .

احتفظت بهدوئها ورصانتها ، وقرَّرت أن تودِّع
الخوف والحجل ، وتقود المعركة إلى النهاية ، فقالت :

— ولماذا هذا السخف ، مادام كل منَّا سيحظى
بقدر من النفع والثراء ؟ — إنها صفقة تستحق التضحية
بكل تلك العواطف .

تأملها فى دهشة ، وخيَّل إليه أنه يراها لأول مرة ،
فقد بدت له بأسلوبها ، ونظراتها القوية الواثقة ،
فتاة أخرى ، غير التى عرفها من قبل ، فابتسم فى
مرارة مغمغماً :

*** ٣٢ ***

— لقد تغيَّرت كثيراً يا (إيمان) ! .. إني لم
أتوقَّع منك هذه الصراحة المفرطة !! .
أجابته فى هدوء :

— ولم لا ؟ ينبغى أن يعلم كل منا حقيقة دَوْره
ومكسبه ، فأنت ستعود إلى منزلك ومصنع أبيك ،
وترفع عن كاهلك مشاق العمل والديون ، وفوق
هذا وذاك ستحصل على مُرتَّب ممتاز ، وأرباح وافرة
للمستقبل ، ومادام عمى يشترط أن يرتهن كل ذلك
بزواجنا ، فلمَ نعرض ؟ إنها ليست بالتضحية الكبيرة
ولست أطالبك بأن يكون زواجنا حقيقياً ، فليكن
بمثابة عقد شركة .

قال فى سخرية وازدراء :

— وأنت الفائزة الكبرى فيه .

كم تمنَّيت لحظتها أن تعترف له بالحقيقة كلها ، وأن
تقسم له أنها كانت تتمنى ذلك طيلة عمرها ، ولكنها
لم تكن أبداً من ذلك النوع من الفتيات ، اللاتى يجتذبن
القلوب النافرة بالاستعطاف ، فهى لن تصرح له بحبها

*** ٣٣ ***

(٣ - حى المذب - زهور)

أبدًا ، إلا حينما يبادها هو الحب ، ومادام لا يفعل
فهى لن تفصح أبدًا ..

وأخفت كل تلك المشاعر فى أعماقها ، وهى
تقول :

— لست أنكر ذلك ، ثم إننى أستحقه ، فلقد
بذلت جهداً لتنمية المصنع ، وعلى أن أتطلع إلى
مستقبل على نحو عملى ، وأن أحصن نفسى ضد الفقر ،
بعد أن رأيت ما فعله بأبى ، ومع ذلك فأنت الفائز
الأكبر ، فأنت أحوج إلى المال منى .

— كيف ؟ .. إنك المتحكِّمة فى الإدارة ، وأنا
سأعمل تحت إمراتك .

— هذا أفضل للجميع ، فلقد أثبتت التجربة أننى
أكثر قدرة على إدارة المصنع ، ولسنا نثق — أنا وعمى —
فى شخص مثلك لإدارته .

— أنت تتحدثين وكأنك صاحبة الحق فى كل
هذا ، على حين أنك مجرد وصوليَّة منافقة .

— لا داعى لكل هذا الانفعال يا بن عمى العزيز ،

فلقد طرح عمى شروطه ، ونحن أعلننا قبولنا لها ،
أليس كذلك ؟ .. وعلى أية حال ، يمكنك التراجع ،
قبل وصول المحامى .

ردَّته كلماتها إلى صوابه ، وأعادت إليه خطته
لتحقيق طموحه ، فهدأت ثائرته ، واعتدل فى مجلسه ،
ورماها بنظرة متعالية ، مخنقة ، قبل أن يقول فى هدوء
حازم :

— كلاً .. سابقى ..
وبدأت المعركة ..



لم يكد (طارق) ينصرف عنها ، حتى زايلها
هدوءها المصطنع ، وراحت ترتجف في انفعال ، وهي
تقول لنفسها :

- إنه لا يحبني ، ويعتبر الزواج مني خطوة ثقيلة
وثنماً لإنقاذ نفسه من ضائقته المالية ، وتحقيق أطماعه ..

كانت تظن أنها ستكون أسعد أهل الأرض ، حينما
تتزوج (طارق) ، إلا أنها ، وقد صار زواجه منها
على قيد ساعات ، لا تشعر بأية سعادة ، بل بالحزن ،
فعلى الرغم من رغبته في نيل ثروة أبيه ، وحاجته
الشديدة إليها ، لم يحاول حتى أن يلقي على مسامعها كلمة
حب مصطنعة ، بل على العكس ، تمادى في إهانتها ،
وإظهار كراهيته لها ، متجاهلاً شعورها ، بل إن
أفضل كلمة نطق بها هي أنه لا يظن زواجه منها سيئاً
إلى هذا الحد ..

ولكنها لن تيش ، ولن تراجع عن حبها ، الذي

مهما لاقى من الذل والمهانة ، ستعيد إليه كرامته في
النهاية ، ولن تسمح لـ (طارق) بإدراك حبها له أبداً ،
حتى لو شعرت برغبته في البكاء ، ستحبس دموعها
عنه ، وتسكبها وحدها ، بعيداً ..

نعم .. إن قلبها الذي يشواق له لن يعرف الضعف
بعد الآن .. أبداً ..

كان حفل الزواج رائعاً حقاً ، إلا أنه من العجيب
أن الزوجين بدواً شاردين ، فلقد أدركت (إيمان) الآن
فقط ، وهي تجلس إلى جوار (طارق) ، أن الأمر
ليس بالسهولة التي تتصورها ، فقد تدفع قلبها ثمناً
لمجازفتها ، فلو فشلت في نيل حبه ، فسيتحطم قلبها إلى
الأبد .. أما هو ، فقد كان يكره قيد الزواج ، خاصة
حينما يربطه بفتاة لم تخطر بباله قط ، ولم تكن في نظره
بأكثر من ضيف ثقيل في منزل أبيه ، بل لقد شعر ،
وهو يجلس إلى جوارها في حفل الزفاف ، أنه عاجز
عن إخفاء نفوره منها ، وعلى الرغم من كل ما يملأ

نفسه من خصال سيئة ، فلم يكن بالشخص القادر على
التظاهر بالحب ، وهو يشعر في أعماقه بالكراهية ،
ولقد بدت له مهمة الزواج منها صعبة وثقيلة للغاية ..
وانتهت مراسم الزواج ، وضمتهما أخيراً حجرة
زفافهما ، في ليلة العمر ، التي يحلم بها كل عروسين ،
ولكن ذلك الحلم كان بارداً جافاً ، فلقد ظل (طارق)
يقف أمام النافذة ، يدخن السيجارة تلو الأخرى ، على
حين اندست (إيمان) في الفراش ، وتظاهرت بالنوم ،
وقد ملأها شعور قوى بالمهانة ؛ بسبب ذلك الإهمال
الذي واجهها زوجها به ، في ليلة العمر ، وبدت لها
الدقائق وكأنها تمرّ بطيئة ، ثقيلة ، موحشة ، ثم ارتجف
جسدها ، حينما شعرت به يجلس على طرف الفراش ،
وسمعتة يسألها :

— هل نمت ؟

بدلت جهداً لئلا صوتها بالبرود ، وهي تغمغم
دون أن تلتفت إليه :

— ليس بعد .

*** ٢٨ ***

— حسناً .. أريد التحدث إليك .
— ألا يمكننا أن نؤجل الحديث للغد ؟ .. إنني
أشعر بالإرهاق ، ولقد تناولت قرصاً منوّماً .
غمغم في تهكم مشوب بالمرارة :

— قرص منوم في ليلة كهذه ؟ !
— وما الفارق ؟ .. إنها مجرد ليلة .
— إنهم يسمونها ليلة العمر .. أليس كذلك ؟
— بالنسبة لزوجين متحابّين .
— كنت أظنك تحملين لى بعض الحب .
تمنّيت لو أجابته بأنها تفضّله عن نفسها ، وأن حبه
يملاً كل نفسها ، إلا أنها وجدت لسانها يقول في
سخرية :

— حب ؟ ! .. لا تكن سخيفاً .. أنت تعلم كيف
تمّ زواجنا .

— ولكنك كنت تدافعين عني في حرارة ، ولقد
تصوّرت ..

*** ٢٩ ***

— لا تتصور شيئاً .. إنك في النهاية ابن عمي ، ولم
أكن لأقبل بقاءك بعيداً عنه طويلاً .

عادت إليه نبرته الحانقة ، وهو يقول :

— أو أنك تعلمين أن في عودتي منفعة لك ،
فلا شك عندي في أنك كنت تعرفين شروط عودتي
إليه مسبقاً .

آلمها عودته لاستخدام هذه اللهجة ، بعد أن كادت
تتصور أنه قد شعر بحبها ، وقالت في ضيق :

— واضح من لهجتك أنك قد عدت إلى طبيعتك
الانتهازية ، التي ترى أن استغلال القرص هو قانون
الحياة الأول .. لقد تصوّرت لحظة أنك مريض ، حينما
أخذت تتحدث عن الحب ، وليلة العمر ، ولكنني
أطمأننت عليك الآن .

أجابها في غيظ مكتوم :

— إن شعوري الحقيقي هو الإحباط والمرارة ، فلم
أتصور يوماً أن أقضي ليلة زفاني مع فتاة أبغضها على
هذا النحو .

أنغمضت عينيها ، وقد اعتصرها الألم ، إزاء تلك
العبارة الجارحة المهينة ، التي تسمعها من بين شفتي
الرجل الذي تحبه ، في ليلة زفافها إليه ، ولكن كان
عليها أن تتوقع مثل هذه الأمور ، وأن تعدّ نفسها لتلك
الأساليب .. فقط ينبغي ألا تستسلم لكبرياتها الجريئة ،
وأن تحتفظ بقوتها ، وسيطرتها على مشاعرها وعواطفها
أمامه ، مهما كان عمق الجراح ..

ويبدو أنه قد شعر بقسوة عبارته أكثر مما ينبغي ،
إذ نغم في ندم :

— معذرة .. لقد جعلتني أخرج عن وعيي و ..
قاطعته في حزم :

— ما الأمر الذي كنت تريد أن تحدثني به ؟
اعتدل في جلسته ، قائلاً :

— لقد قرّر أبي أن نسافر غداً ، لقضاء شهر العسل
في فيلا (العجمي) .. ألدبك مانع ؟

قالت ، وهي تعقد ذراعيها أمام صدرها :
— كان من الأجدر أن تراجع ملفات المصنع من

الغد ، ولكنه أسبوع واحد على أية حال ، يمكننا قضاءه
على أى نحو.. أهذا كل ما لديك ؟

— كلاً .. لقد قلت بنفسك منذ لحظات أن أساس
زواجنا هو المصلحة ، وهذا أفضل ، فلست أحب أن
يحدّ أحداً من حريتي ، أو يحاسبني على تصرفاتي .

— اطمئن .. سيكون زواجنا شكلياً فحسب ،
ولكن هناك أمرين يجب مراعاتهما ، أولاً : أن يحافظ
كل منا على كرامة الآخر ، بحيث نبدو أمام الناس ،
وخاصة عمى ، كزوجين محبين ؛ حتى لا يتراجع عن
شروطه ، وثانياً : ألا تمس تصرفاتك مصلحة المصنع .
أتفهمنى ؟

أطرق برأسه ، وقد أدرك أنها تشير إلى الاختلاس
السابق ، ونغمغم فى ضيق :

— إننى أوافق .
— رائع .. يسرني أننا قد اتفقنا على رأى واحد .

ظلت صامته برهة ، وهى تتعنى لو أن هذا الحديث
ينتهى بكلمة واحدة منه ، تحمل إليها شيئاً من الحب

***** ٤٢ *****

والحنان ، إلا أنه ظل متمسكاً بصمته ، حتى نغممت
هى :

— أظن أن حديثنا قد انتهى .

نغمم فى حلق ، وهو ينهض من جوارها :

— نعم .

أطفأت ضوء المصباح المجاور لفراشها ، وعجزت
عن إخفاء تنهيدتها العميقة ، وهى تلتق رأسها على الجانب
البعيد من الوسادة ، قائلة :

— حسناً .. ليلة طيبة .

ولكن الليلة لم تكن كذلك ..

لم تكن كذلك أبداً ..



***** ٤٣ *****

٥ - رجفات قلب ..

دفع (طارق) باب ثيلا (العجى) ، وهو يدعو
(إيمان) للدخول ، قائلا فى سخرية :

— تفضلى .. لم تقفين هكذا ؟ .. أهذه أول مرة
تأتين فيها إلى هنا ؟

دخلت فى هدوء ، وتأملت المكان حولها ، وهى
تقول :

— أعلم أننى لم آت إلى هنا ، منذ كنا أطفالا ؟

وضع الحقائق وسط الردهة ، وهو يقول بنفس
اللهجة الساخرة :

— نعم .. وهى ذى الطفلة البريئة تعود سيّدة
ذكية ، لا تفتقر إلى الدهاء والطموح .

التفت إليه ، قائلة فى تحدّ :

— لقد تغيرت الطفلة البريئة كثيراً ، ولكنك أنت
لم تتغير .. ما زلت ذلك الطفل الممتلئ بالقسوة
والكراهية ، الذى كان يحلو له جذب شعرى فى قسوة

***** ٤٤ *****

وتحطيم لعبى .. فقط تضاعف حجمك ، وانتقلت
قوّتك وقسوتك إلى عباراتك وألفاظك الجارحة .

شعر بالخجل ، وهو يغمغم فى أسف :

— لست أدري لماذا تخرج منى تلك العبارات
دوماً ؟ !

رسمت ابتسامة باهتة على شفتيها ، وهى تقول :

— دع عنك الأسف ، فأنت تعجز عن نسيان

كراهيتك لى ، على الرغم من أننا قد صرنا أصحاب
مصلحة واحدة .

تركته يقف فى منتصف الردهة ، واتجهت إلى

الشرفة ، وفتحها ، ووقفت تستند إلى سياجها ،

وتستنشق عير البحر مسيلة الجفنين ، واقترب هو

منها ، وحدّق فى الأمواج ، وهو يقول :

— أظننا بحاجة إلى بعض الوقت ، لتأقلم على

علاقتنا الجديدة ، وإلى أن يحين ذلك ، ينبغى على كل

منا أن يحتمل الآخر ، ويغفر له بعض الأخطاء الصغيرة ،

فأنا لا أكرهك إلى الحد الذى تتصورينه ، وربما ..

***** ٤٥ *****

أقول ربما ، لو أن زواجنا لم يتم على هذا النحو ،
لتغيرت علاقتنا كثيراً .

ظلت صامته ، مسيلة العينين ، وهي تسأل نفسها
في أعماقها :

— أكان من الممكن أن يتم زواجنا أصلاً ، لو لم
يتم على هذا النحو ؟ .. إننى أعرف قدرى لديك ،
وإننى آخر إنسانة كان من الممكن أن تختارها للزواج ،
لولا ضغوط أبيك .

سعل هو ، قائلاً :

— ما رأيك أن نستبدل ثيابنا ، ونذهب للجلوس
أمام البحر قليلاً ؟ .. الجو رائع اليوم ، وأشعر برغبة
في ممارسة بعض السباحة .

نغمضت ببساطة :

— لا بأس .

راقبها وهي تغادر الشرفة ، وتتجه إلى حجرتها ،
ثم أسرع إلى الهاتف ، والتقط سماعته ، وطلب رقماً ما ،
وقال في لهفة :

***** ٤٦ *****

— أريد الآنسة (كريمة) لو سمحت .

ساد الصمت لحظة ، وهو يتلفت حوله في قلق ،
وعيناه معلقتان بحجرة (إيمان) ، حتى سمع صوت
محدثه ، عبر أسلاك الهاتف ، فقال في لهفة :

— (كريمة) .. أنا (طارق) .. نعم ، هنا في
(الإسكندرية) ، في فيلا (العجمى) .. لا وقت
للشرح ، اسمعني جيداً ، انتظريني الليلة في (البوريقاج)
نعم في مكان لقائنا المعتاد .

صمت لحظة ، وهو يستمع إليها ، ثم استطرد :

— فلنؤجل العتاب واللوم الآن ، وسأخبرك بكل
شئ حينما نلتقى .

كانت (إيمان) تستمع إلى المحادثة في صمت ، ثم
لم تلبث أن اقتربت منه في هدوء ، ولم يكده بعيد سماعة
الهاتف حتى وجدها أمامه ، فاضطرب لظهورها
المفاجئ ، على حين قالت هي في هدوء :

— أنا مستعدة .. هيا بنا إلى الشاطئ .

***** ٤٧ *****

استغرق (طارق) في السباحة ، وبدأ شديد
الاستمتاع بمياه البحر الدافئة ، على حين جلست (إيمان)
على الشاطئ ، وذهنها يردد اسم (كريمة) ، تلك
الفتاة التي واعدتها زوجها باللقاء ، حمل قلبها إحساساً
موجعاً بالغيرة والقلق ، إزاء تلك المنافسة المجهولة ،
التي بدأت منافستها لها ، في اليوم التالي لزفافها ، وكان
عليها أن تحمل هذه الصدمة أيضاً ، ما دام قد اتفقا على
الآتقيده بقيود الزواج والحب ، ولكن التفكير أجهدتها
فغمغمت في مرارة :

- حسبي أنه إلى جوارى الآن .. فلا أقنع بذلك .
تطلعت إليه ، وهو يسبح عائداً إلى الشاطئ ،
ونغمغت :

- آه لو تعلم مقدار حبي لك ، وعذابي بك .
وكما توقعت اختلق لها عنزاً واهياً في المساء ،
ليلحق بموعده ، وراقبت هي سيارته ، من خلف نافذة
الفيلا ، وهي تغوص في أحشاء الليل ، والغيرة تنهش
قلبها ، وحاولت أن تقاوم مشاعرها الجريئة بترتيب

***** ٤٨ *****

المكان ، ومشاهدة التليفزيون ، ولكن ذلك الصراع
العنيف في أعماقها منعها من الاستمتاع بأي شيء ، ثم
لم تلبث أن أوت لفراشها ، دون أن يغمض لها جفن ..
وكيف تنام ؟ ..

إن حبيبها الآن بعيداً عنها ..
إنه في صحبة فتاة .. فتاة أخرى ..

بدت نسيمات الهواء على شاطئ البحر كلفحات
اللهب ، بالنسبة لـ (إيمان) ، التي قضت ليلتها مرهقة
مسهدة ، على حين انشغل (طارق) في مطالعة بعض
الصحف والمجلات ، ثم لم تلبث أن سأله ، وهي
مغمضة العينين :

- أيزعجك أن أسألك أين قضيت ليلتك أمس ؟
- إنها بعض الارتباطات الهامة .
- أي نوع منها ؟
- ولم تسألين ؟
- من الأفضل أن أعلم أين تذهب ، فمن الممكن

***** ٤٩ *****

أن يتصل عني ، ويطلب التحدث إليك ، وسيكون من
السخيف ، كزوجة في شهر العسل ، أن أجيبه بأنني
لست أدرى أين أنت .

عاد يطالع صحيفته ، مغمماً بلا مبالاة :

— حسناً .. سأحاول مراعاة ذلك مستقبلاً .

أحنقتها إجابته ، ففتحت عينيها ، وقالت في حدة :

— لقد سمعتك تحدث تلك الفتاة هاتفياً .

التفت إليها ، هاتفاً في حدة :

— أنتجستين على ؟

هزّت كتفيها ، قائلة بلا مبالاة :

— لقد جاء الأمر بالمصادقة ، فلم تكن قد انتهيت

من الحديث مع صديقتك بعد ، عندما حضرت لأبلغك

باستعدادي للذهاب إلى الشاطئ ، فسمعت ، وعلى أية

حال ، ليس هناك ما يدعوك للاحتداد ، فاتفقنا هو

ألا يتدخل أحدنا في شئون الآخر الشخصية ، ما دامت

لا تمس كرامته أمام الآخرين ، ولا تضر بالمصنع ،

وكان يمكنك — بكل بساطة — أن تخبرني أنك ذاهب

***** ٥ *****

للقاء صديقتك ، بدلاً من استخدام عبارة « ارتباطات
هامة » .

أغاظه برودها ، واعتدادها بالمبالغ فيه ، وأدهشه

أنه كان يتمنى أن يثيرها ، وأن يراها غاضبة غيورة ،

كأية زوجة ، فقال وكأنه يعتمد إثارة غضبها :

إنها ليست مجرد صديقة .. إنها تعني لي ما هو أكثر

من ذلك .

خفق قلبها في عنف ، إزاء هذا التصريح المفاجئ

وبدأ التوتر على وجهها ، إلا أن كبرياءها دفعها للحفاظ

على أعصابها ، وهي تقول :

— إذن فأنت تعرفها منذ زمن ؟

— نعم .. من أكثر من ست سنوات ، قبل أن

أغادر (القاهرة) إلى (أوروبا) ، وكنا قد اتفقنا على

الخطبة ، ولكن ظروفنا حالت دون ذلك .

— وهل كانت تعلم بقدمك إلى (الإسكندرية) ؟

— إنها تقيم وتعمل هنا .

— أتعلم أيضاً أننا زوجان ؟

— نعم .

— وما تعليقها على ذلك ؟

— لم تطرحين كل هذه الأسئلة ؟

تظاهرت باللامبالاة ، وهى تهز كتفها ، قائلة :

— لإضاعة الوقت فحسب ، لا أظنك تحب أن

نبقى صامتين طيلة الوقت .

— حسناً .. لقد ضايقها ذلك فى البداية ، ولكننى

أفهمتها أن زواجنا لن يستمر لأكثر من عام ، وأنه

يمكنها اعتباره عاماً إضافياً فى (أوروبا) حتى أتزوجها .

شعرت وكأنه قد صفع قلبها فى عنف ، فتماسكت

قائلة :

— ولماذا عام بالذات ؟

— لأن زواجنا قد بنى على أساس خاطئ ،

ولست أظن أنه سيمتد أكثر من ذلك ، ومع الوقت

سأقنع أبى بأن هذا الزواج إجحاف حقيقى بى وبك ،

وبأنه من المستحيل أن نزرع الحب فى قلبينا زرعاً ،

ومن الأفضل أن نفصل ، ليعتار كل منا حياته

***** ٥٢ *****

بنفسه ، وحينما يرى جدّيتى ، وإخلاصى فى العمل ،

وإدارة المصنع ، سيعلم أننى لم أعد ذلك الشاب المدلل ،

ولم أعد بحاجة إلى وصاية أحد ، وأن فشل زواجنا

لا يعنى فشلى فى إدارة المصنع ، ولورفض كل ذلك ،

سأتنازل لك عن الثروة ، وأكتفى بمرتبى .

ارتجفت شفتاها ، مع إحساسها بمرارة الهزيمة ،

وآلمها كيف أنه يرفض الارتباط بها إلى هذا الحد ،

وسالت دموعها على وجنتيها دون أن تدري ، وأثار

ذلك دهشته واهتمامه فى شدة ، فد يده يمسح دمعها ،

قائلاً :

— (إيمان) !.. أتبكين ؟ .. أجرححت كلماتى

مشاعرك .

أسرعت تمسح دموعها ، وهى تقول فى حدة :

— لست أبكى .. إنها ذرة رمل فحسب .

ولكنه شعر — لأول مرة — أنها كاذبة ..

وأنها تحبه ..

***** ٥٣ *****

٦ - ذابت بين ذراعيه ..

رغبة قوية في أعماقها ، جعلتها تتلهف لرؤية منافستها ، وهي تتساءل بروح أنثى غيورة ، عما إذا كانت تفوقها جمالا ، وعلى الرغم من خشيتها من عواقب رؤية غريبة فائزة ، إلا أنها قالت لـ (طارق) ذات مساء ، وهو يدعوها لقضاء سهرة خارج الفيلا :
- ما رأيك لو دعوت صديقك أيضاً ؟
تطلع إليها في دهشة ، وهو يقول :

- لماذا تقترحين ذلك ؟

- لقد تصوّرت أن هذا قد يضمنى على سهرتنا لوناً أفضل ، بدلا من أن نقضيها صامتتين كالمعتاد ، أو أن يتحدث كل منا بما يغضب الآخر ، وقد يعكس وجودها بعض السرور على سهرتنا .

لم يقنعه قولها ، فعاد يسألها في دهشة :

- ألن يضايقك ذلك ؟

هزت كتفها في لا مبالاة مصطنعة ، وهي تقول في استعلاء :

***** ٥٤ *****

- ولم ؟ .. إن الحب منعدم بيننا ، ولقد عقدنا اتفاقاً .. أليس كذلك ؟

- ولكنني أخشى أن تجدى في ذلك ما يُسيء إلى كرامتك !

- كلاً ، ما دمنا بعيداً عن مجتمعنا ، وما دامت تصرفاتكما لن تتجاوز الحدود .

- حسناً .. مادمت تريدان ذلك .

وازداد لهيها ..

بدت (إيمان) باهرة الحسن ذلك المساء ، وهي تجلس مع (طارق) ، وقد ارتدت ثوباً رقيقاً ، أبرز جمالها وفتنتها ، وكأنها تعلن تحديها لغريمها على نحو غير مباشر ، ولقد أدهش هذا الجمال (طارق) للغاية ، فراح يتطلع إليها مبهوراً ، وكأنما يراها لأول مرة ، فسألته في دهشة وتعجب :

- لم تحدّق في هكذا ؟

***** ٥٥ *****

ارتجف وكأنا أفاق من حلم ، وسعل في حرج ،
مغمغماً :

— لا شيء .. فقط أردت أن أقول .. أعني ..

— تعني ماذا ؟

— إنك رائعة الحسن هذه الليلة .

خفق قلبها في قوة لعبارته ، وعجزت عن إخفاء
سعادتها ، وهي تراه يبدى اهتماماً بها لأول مرة ، ويمدح
جمالها ، الذي ملأ عينيه لأول مرة أيضاً ، وبذلت جهداً
للسيطرة على انفعالها ، وهي تقول في برود ، يخنى
لهيها :

— ربما بدا لك كل ما حولك جميلاً ، لأنك ستلتقي
بمن تهوى بعد قليل ، فما أحسبك تلتقي هذه العبارة في
ظروف عادية .

— لماذا .. أتخسبني منعهم المشاعر ؟

— كلاً ، ولكنها أول مرة تطرى جمالي .

نطقت عبارتها في دلال ، إلا أنه بدا وكأنه لم
يسمعها ، فلقد تعلّق بصره بنقطة ما خلفها ، مما دفعها

إلى الالتفات ، فوقع بصرها على حسناء فاتنة ، هيئها
القوام ، قصيرة الشعر أسوده ، وأدركت على الفور
أنها الفتاة التي ظفرت بقلب زوجها وحبيبها ، وخاصة
حينما يلوّح لها بيده ، ورأتها ترد تحيته بابتسامة زادتها
فتنة ، وهي تتحرك نحو مائدتهما ، فشعرت بغصة في
قلبها ، وبالندم على طلبها مشاركة الفتاة لها ؛ إذ تبسّنت
أنها أضعف بكثير من الموقف ، الذي وضعت نفسها
فيه ، وهي ترى (طارق) يستقبل الفتاة في لهفة ،
ويقدّمها لها ، قائلاً :

— هذه (كريمة) ، التي حدثتك عنها ، وهذه

زوجتي .

تصافحتا في هدوء ، واتسعت ابتسامة (كريمة) ،

وهي تقول :

— تسعدني مقابلتك يا مدام (إيمان) .

أجابتها (إيمان) بابتسامة شاحبة ، وصوت مختنق :

— أنا أيضاً تسعدني مقابلتك .

أزاح (طارق) مقعده قليلاً ، وترك (كريمة)

تجلس ، ثم جلس في مواجهة الاثنين ، واران على ثلاثتهم الصمت قليلا ، وراح (طارق) ينقل بصره بينهما ، على حين تباحث كل منهما نظرات الأخرى ، وبدا الموقف في مجمله عجيباً ، حتى سعل (طارق) كعادته ، كلما أصابه الحرج ، وقال :

— لقد أصرت (إيمان) على تعرفك ، ودعوتك لقضاء السهرة معنا يا (كريمة) .

استعادت (إيمان) تماسكها ، وهي تقول :

— ولكنك لم تخبرني أن صديقتك رائحة الجلال إلى هذا الحد .

شجعت العبارة (كريمة) ، لتخلص من حرجها فقالت :

— شكراً لمجاهدتك الرقيقة .

— لست أجامل .. إنها الحقيقة .. أهنتك على حسن اختيارك يا (طارق) .

لم يجد (طارق) ما يجيب به زوجته ، فتشاغل بطلب قائمة الطعام من النادل ، وترك (كريمة) تقول :

***** ٥٨ *****

— لقد بدا لي الأمر غريباً في الواقع ، حينما تلقيت دعوتك ، بعد أن عرفت طبيعة العلاقة التي تربطني بـ (طارق) ، ولكن (طارق) أطلعني على الأمر كله ، وعلى الهدف من زواجكما ، وأنا أحيي هذا التفكير العملي فيك ، الذي ستعكس آثاره علينا جميعاً ، وأرجو أن نظل أصدقاء في المستقبل ، فأنت ابنة عم (طارق) .

حركت (إيمان) أصابعها فوق المائدة في عصبية ، وهي تحدث نفسها ، قائلة :

— أصدقاء؟! .. أتسلمني حبيبي وزوجي ، وتريد أن نصبح صديقتين .. يا للوقاحة !

وتخلصت من شرودها في سرعة ، وأعدت رسم الابتسامة على شفتيها ، وهي تقول :

— سيسعدني بالطبع أن نظل صديقتين ، خاصة وأنا أعلم مدى تعلّق (طارق) بك ، وهو سيبنى في النهاية ، وبعد أن نسوى كل الأمور فيما بيننا ، شريكي وابن عمي ، وسيتقرب أحباؤه وأصدقائه لي أيضاً .

***** ٥٩ *****

ولكن (كريمة) تشاغل عنها بالتمايل على أنغام
تلك المقطوعة الموسيقية ، التي تتردد في المكان ، ثم
تطلعت إلى (طارق) بنظرة ذات مغزى ، وهي تقول :
- ما أجمل تلك الموسيقى الهادئة !

شعر (طارق) بالخرج ، وهو ينقل بصره بينها
وبين زوجته ، ثم لم يلبث أن تغلب على حرجه ، وهو
يقول لـ (كريمة) :

- أترغبين في الرقص ؟

هبت واقفة على الفور ، وهي تقول في حماس :
- بالطبع يا حبيبي .. لأنني أعبد رقصة (التانجو)
كما تعلم .

قادها إلى حلبة الرقص ، وهو يومئ برأسه
لزوجته ، التي احتفظت بابتسامتها المصطنعة بعض
الوقت ، ثم لم تلبث أن تركت العنان لغضبها وغيرتها ،
وهي تتطلع إليهما يرقصان في انسجام كامل ، وأخذ
جسدها يرتجف في قوة ، وهي تنقر على سطح المائدة
في عصبية ، وبدت مستعدة للقيام بأي تصرف طائش ،

***** ٦٠ *****

إذ راودتها الرغبة في مفارقة المائدة ، وانتزاع زوجها
من بين ذراعي غريمتها ، صائحة في وجهها :

- هذا الرجل لي وحدي ، ولن تشاركيني فيه .
أو تغادر المكان على الأقل .. إلا أنها لم تفعل ،
وإنما راحت تقول لنفسها :

- يا لك من عاشقة حقاء !! .. أهذا هو الصمود
والصلابة ؟ .. أين خطتك لاجتذاب قلب (طارق) ؟
إنك بتصرف طائش واحد تخسر كل شيء .

بدا وكأنها قد أصيبت بانفصام الشخصية ، حينها
أردفت في عصبية :

- فلتذهب الخطة إلى الجحيم ، فليأخذ مصنعه
وثروته كلها ، فلست أريده ، ولم يعد يعنيني أن
يحبني .. الأمر لا يحتاج إلى كل هذه التعقيدات .. إنه
دائماً صاحب العديد من العلاقات ، وها هو ذا يحب
فتاة ، ويعدها بالارتباط منذ سنوات ، ثم يتمسك بها ،
فلتأخذه إذن ، وكفاني إهانات لكرامتي .

لم تلب أن (طارق) كان يراقبها خلسة ، وأنه قد

***** ٦١ *****

لاحظ اختلاجات وجهها ، حتى انتهت الرقصة ،
وظلّت (كريمة) متعلّقة بعنقه ، وهي شبه هائمة ،
فأبعدها عنه في رفق ، وهو يقول :

— (كريمة) .. لقد انتهت الرقصة .

بدا وكأنها تستفيق من حلم جميل ، وهي تقول :

— هكذا ، سريعاً ؟!

هتماً بالعودة إلى المائدة ، ولكن الفرقة الموسيقية
عادت تعزف لحناً جديداً ، فقالت (كريمة) في هيام :
— ما رأيك في رقصة ثانية ؟

منحها ابتسامة ودوداً ، وهو يقول :

— أظنّ أنه من الواجب أن أدعو زوجتي لهذه
الرقصة .. أليس كذلك ؟

نمغمت في حلق :

— لا بأس ، ولكن حذار أن تلامسها أكثر مما ينبغي .

ضحك قائلاً :

— أنسيت أنها زوجتي ؟

لم تشاركه ضحكته ، وإنما توقفت على قيد

***** ٦٢ *****

خطوات من المائدة ، واحتقن وجهها ، وهي تقول
في غضب :

— ماذا تعني ؟ .. ألم تقل إنكما منفصلان ؟ ..
أسمحت لنفسك بلامستها من قبل ؟

شعر بالخرج ، وأخذ يجذبها في رفق ، قائلاً :

— لا .. لا بالطبع .. ليس هناك ما يربطنا سوى
ورقة رسمية .. كفى عن حماقاتك .

جلست على مقعدها حول المائدة ، وقالت وكأنها
تعمد إغاضة (إيمان) :

— إنها رقصة ممتعة ، خاصة مع راقص بارع
مثل (طارق) .

قالت (إيمان) وهي تحاول إخفاء غضبها :

— أنت لاتقلّين عنه براعة .

ابتسمت (كريمة) في خبث ، وكأنما أدركت
بغريزتها الأنثوية أن (إيمان) تلهب غيرة ، وقالت
لتزيد من غيرتها :

— يسرني أنك قد لاحظت ذلك .

***** ٦٣ *****

تسارعت نقرات أصابع (إيمان) على المائدة ،
 فقال (طارق) نحوها ، قائلاً :
 - ما رأيك بمشاركتي هذه الرقصة .
 أجابته في جفاء :
 - لست أستسيغ الرقص .
 ضحكت (كريمة) ، وهي تقول في خبث :
 - لا تخرجها يا (طارق) .. ربما أنها لا تجود
 الرقص حقاً ، فهي - كما أخبرتني - متفرغة للعمل
 في إدارة المصنع .
 استغزت كلماتها (إيمان) ، فهبت واقفة ، وهي
 تقول في تحد :
 - من السهل أن نجيد الرقص ، ولكن من
 الصعب أن ننجح في إدارة مصنع ، والأكثر صعوبة
 أن نجيد الاثنين معاً .
 ثم التفت إلى (طارق) ، مستطردة في كبرياء :
 - هيا .. سأشاركك رقصتك .

***** ٦٤ *****

همس (طارق) في أذنها ، وهما يرقصان في
 رشاقة :
 - لو لم أكن واثقاً من مشاعرك نحوى ، لقلت
 إنك تشعرين بالغيرة .
 أجابته في استعلاء :
 - ممن ؟ .. وعلى من ؟ .. لا تسرف في الخيال
 يا عزيزي ، فالغيرة ملح الحب ، ولسنا نملك هذا
 الأخير .
 بدا عليه الامتنعاض لقولها ، على حين راحت
 أعماقها تصرخ :
 - يالك من كاذبة ! .. لو أمكنه قراءة أعماقك
 الآن لفصح كذبك ، وعرف أن كل ذرة في كيائك
 تهتف بحبه ، وبالغيرة عليه .
 فوجئت به يقول في رقة أدهشتها :
 - إنك تجيدين الرقص حقاً .. أفضل منها .
 تراجعت برأسها ، وتطلعت إليه برهة في دهشة ،
 ثم عمغمت :

***** ٦٥ *****

(هـ - حي المذب - زهور)

— شكراً لمجاملتك اللطيفة .

— لست أجاملك .

— إذن فأنت تبالغ هذه الليلة بلا داع ، فلقد

أطريت جمالي في البداية ، ثم رقصي الآن ، على الرغم
من انسجامك التام معها ، وحبك لها ، لم لا تكون
مباشراً صريحاً ؟

لم يتخل عن ابتسامته ، وازداد صوته عمقاً ودفئاً ،
وهو يقول :

— إنني لم أكن مباشراً وصريحاً في حياتي ،
مثلاً أنا الآن .. صحيح أنني أحب (كريمة) ، وأراها
جميلة ، إلا أنني أصرّ على أنك تفوقينها جمالاً ورشاقة .
تضاعفت دهشتها ، ولم تدر أتصدقه أم تكذبه ؟
أيسعدها قوله أم يحزنها ؟!

وفجأة تلاشت دهشتها وحيرتها ، وتبخر اضطرابها
حينما ضمها إلى صدره ، فألقت رأسها على كتفه
العريضة في استسلام ..

ذابت كل مشاعرها وأحاسيسها ، ومقاومتها

***** ٦٦ *****

وكبرياتها .. بل تلاشى إحساسها بالمكان والزمان ،
وبكل ما يدور حولها ، وهي تتمنى أن يبقى الحال
على ما هو عليه لساعات طوال ..

حتى (طارق) شعر بإحساس غريب يغمره ،
وهو يحتويها بين ذراعيه .. إحساس لم يعرف مثله من
قبل ، ولا يجد له تفسيراً ..

رغبة قوية في ألا تُفلت من بين ذراعيه أبداً ..
وفجأة انتبه كلاهما إلى توقّف الموسيقى الهادئة ،
وتحوّلها إلى موسيقى صاخبة ، وراح كل منهما يتطلّع
إلى الآخر في دهشة واستغراب ، على حين حدّتهما
(كريمة) بنظرة غاضبة مخنقة ..

نظرة حملت كل شكها ، فيما يدّعيه كل منهما
عن طبيعة زواجهما ..

وفي أعماقهما رمتها بالكذب ..

... وبالحب ...

***** ٦٧ *****

٧ - العودة الى المنزل ..

ما من شك في أن أيام العسل المزعومة قد تركت أثرها في نفسيهما ، فلقد لاحظت (إيمان) أن (طارق) أصبح أكثر لطفاً وليونة معها ، وهي تعترف بأنه قد بذل الكثير ، في اليومين الأخيرين ، ليكسب رضاها ، لولا أن وجود (كريمة) في معظم الوقت ، كان يفسد عليها إحساسها بما طرأ عليه من تغيير ، ويجعلها تتقبل عطفه ورقته بشيء من المرارة ، إلا أنها ، وعلى الرغم من كل شيء ، لم تنس تلك الليلة التي راقصا فيها ، حينما سرى فيهما شعور غريب ، هو شيء أقوى من عقد زواجهما بالتأكيد ، ومن طموحهما المادى ، وكبريائهما .. شيء مسّ روحها ، وأخبرها أنه لها ، وأنها له ، ولن يفرقا أبداً ، مهما كانت العقبات ، وعلى الرغم من أنها كانت تنفض ذلك الإحساس في قوة ، وترجعه إلى رومانسية ولذتها في أعماقها عواطفها نحوه ، إلا أنه كان يعاودها في إصرار وعناد عجيبين .

ولم يكن (طارق) بأقل حيرة وتخبُّطاً ، فقد حاول خلال الأيام والليالي السابقة ، أن ينقذ من نفسه أبة عاطفة تجاه (إيمان) ، وأن يؤكد أن قلبه قد استقر على حب (كريمة) ، ولكن محاولته نفسها بدت له وكأنها محاولة تني تهمة ، وهو يعترف بأنه ينسى (كريمة) تماماً ، حينما ينفرد بـ (إيمان) ، التي عاشت معه كابنة عمه منذ الطفولة ، وكان ينفر منها دوماً ، بل يكرهها في بعض الأحيان ، دون سبب ظاهر ، ولقد ازداد نفوره منها ، وكراميته لها ، حينما أجبر على الزواج منها ، ولكن هناك تغيراً طرأ على مشاعره نحوها ولاشك ، فهو يراها - في بعض الأحيان - فتاة جذابة إلى أقصى حد ، على الرغم من أنها لا تظهر له شيئاً من العاطفة ، بل أصبح يجد السعادة في محاولاته إسعادها ، وكسب رضاها ، ولكن من العجيب أنه كلما لاحظ في نفسه ذلك ، شعر بالضيق والسخط ، لعجزه عن السيطرة على مشاعره ، وها هو ذا قد ترك (كريمة) في (الإسكندرية) ، مع وعد بقاء قريب ،

ولكن لم يشعر لوداعها بنفس ذلك الأثر ، الذي تركته
في نفسه ، وهو يودّعها إبان سفره إلى (أوروبا) ..
ربما لأنه فراق قصير قريب هذه المرة ، ولكنه لا يشعر
بلهفة حقيقية للقاء آخر ، فماذا يعنيه ذلك ؟ .. أهو أمر
طبيعي ؟ لأن أي حبيبين ، مهما بلغ حبهما ، تمر بهما
لحظات من برودة المشاعر ، تعود بعدها مشاعرهما
أكثر قوة وحرارة .. ربما ..

* * *

استقبلهما (منصور) بك ، والد (طارق) ، في
بشر وترحاب عند عودتهما ، وبصحبة شاب وسيم ،
يمتلىء بالحرارة والحيوية ، أثار انتباه (طارق) ،
الذي لم يتعرفه من قبل ، وأثار دهشته ، حينما وجد
(إيمان) تصافحه في حرارة ، قبل أن تقدمه له ،
قائلة :

- المهندس (جمال) .. أفضل مهندسي التصميمات
في شركتنا .

* * * * * ٧٠ * * * * *

وصافحه (جمال) ، قائلاً بابتسامة جذابة ،
وأسلوب مهذب :

- يسعدني تعرفك يا أستاذ (طارق) .

لم يبد (طارق) حماساً ، وهو يصافحه ، مغمغماً :

- أظن أننا لم نلتق من قبل .. أليس كذلك ؟

قال الأب :

- لقد تم تعيين المهندس (جمال) في الشركة ، في

أثناء سفرك إلى الخارج ، والفضل يعود إلى (إيمان) ،

فتصميماته الجديدة لمنتجاتنا زادت الطلب عليها كثيراً ،

وهو يحتل الآن منصب رئيس قسم التصميمات بالمصنع ،

فضلاً عن أنه موضع ثقتنا جميعاً ، وعليك أن تتعامل

معه مستقبلاً على هذا الأساس .

تجاهل (طارق) نصيحة والده ، وقال في برود :

- معذرة .. إننا متعبان من رحلة السفر ،

سنصعد إلى حجرتنا ، لنرتاح قليلاً .. هيا يا (إيمان) .

ولكن (جمال) استوقفهما ، مغمغماً في ارتباك :

- معذرة لإزعاجكما ، ولكنني لم آت لتهنئتكما

* * * * * ٧١ * * * * *

والترحيب بكما فحسب ، وإنما للتشاور مع مدام
(إيمان) في أمور خاصة وعاجلة ، تخص المصنع .

سألته (إيمان) في قلق .

— هل الأمر خطير إلى هذا الحد ؟

— كلاً ، ولكننا نحتاج إلى اعتمادات عاجلة ،
لجلب الخامات المطلوبة ، حيث إن المقدار المتوافر
منها ، في السوق المحلية محدود ، وهناك شركات أخرى
تنافسنا في الحصول عليه ، ونحتاج إلى مراجعة الأسعار ،
وتقدير موافقتك عليها ، قبل وضع التصميمات ، التي
ستوقف على مقدار ما يتوافر لدينا من خامات .

— ولماذا لم تعرض ذلك على عمي ؟

— لقد فعلت .. ولكن ..

بدا مرتبكاً ، فأكمل عمها ، قائلاً :

— ولكنني لا أقرر أمراً دون مشورتك ، فصحيح
أنني أمتلك الخبرة ، ولكن أنت تملك موهبة تقدير
الأصلح ؛ لذا فقد طلبت منه انتظار عودتك .

***** ٧٢ *****

زفر (طارق) في ضيق ، ووجهه حديثه إلى
المهندس (جمال) ، قائلاً :

— أتظن أن هذا هو الوقت المناسب ، للخوض
في مثل هذه الأمور ؟ .. ألم يكن من الأفضل أن
نتنظر إلى الغد ، لنستريح من متاعب السفر على الأقل .
ارتبك (جمال) ، وهو يقول :

— أنا آسف ، ولكن المصنع المنافس يسعى
للحصول على الخامات غداً ، ولقد نجحت في الحصول
على مهلة إلى الغد ، اعتماداً على علاقتي الجيدة بالشركة
المنتجة .

تطلعت (إيمان) إلى زوجها ، قائلة في رقة :

— اصعد أنت لتستريح ، وسأبقى بعض الوقت
لمراجعة الأوراق المطلوبة .

وأشارت إلى (جمال) ؛ ليصحبها إلى حجرة
المكتب ، مستطردة :

— تفضل يا باشمهندس .

***** ٧٣ *****

سار الاثنان في صحبة الوالد إلى حجرة المكتب ،

وبقى (طارق) وحده .

لم يكن وحده تماماً ..

كان معه رفيقان ..

الوجوم والعبوس ..



٨ - الحب الثائر ..

أبدى (طارق) ، خلال الأسابيع التالية ،
تقدماً ملحوظاً ، فيما يتعلق بنشاطه في العمل ، وبدأ
وكأنه قد هجر تماماً شخصية الشاب العاثر المدلل ،
الضعيف أمام أهوائه ، والتي كان عليها في الماضي ،
وتحوّل إلى شخص آخر ، يقدر المسؤولية ، ويحرص
على النجاح ، ولقد أثار تحوّل هذا سعادة والده ، الذي
حرص على كتمان مشاعره ، خشية أن يكون حكمه
متسرّعاً ، وإن أبدى إعجابه لـ (إيمان) ، قائلاً :
- يبدو أن خطتنا تسير في الطريق الصحيح ،
فهاهو ذا (طارق) يزاول مسؤولياته في المصنع بهمة
ونشاط ، لم أعهدهما فيه من قبل .. لقد تغير كثيراً ،
فهو يقضى معظم وقته داخل المصنع ، على الرغم من
أنه لم يكن يطبق البقاء به في الماضي ، ثم إنه لم يعد يسهر
خارج البيت ، بعد عودته من المصنع .. لقد كان
تقديرى في محله .. إن تأثيرك عليه عظيم حقاً .

وعلى الرغم من سعادتها لما صار إليه (طارق) ،
لم تكن (إيمان) واثقة من أن لها أى دور فى تحوُّل
(طارق) ، وإنما كانت تُرجع ذلك إلى طموحه
الشخصى ، وخطته التى صارحها بها ، خلال وجودهما
فى الإسكندرية ، لكسب ثقة أبيه ، وإقناعه بتقبُّل فكرة
انفصاله عنها ، دون حرمانه امتيازاته ، مما يهيئ له
فرصة الزواج من (كريمة) ، التى سافر إليها وحده
فى الأسبوع الماضى ..

إنها تعلم أن نجاحه سيحررها إيتاه ، ولكنها سعيدة
من أجله ، وتتمنى له المزيد من النجاح ، والمزيد من
حب أبيه وإعجابه ..

ولكن ماذا عنها هى ؟ .. أتقنع بدورها المثالى فى
حبه ، وتتخلى عن أحلامها وأمنياتها ؟ ..

إن زواجها منه لم يكن نهاية المطاف ، وإنما كان
بالنسبة لها نقطة بداية حقيقية ، كى تقترب منه أكثر ،
وتحرِّك عواطفه نحوها .

كان هذا هو هدفها ..

ولكنها لم تفعل شيئاً .

إنها تتيح له تحقيق خطته للابتعاد عنها ، دون أن
تحرِّك ساكناً ، فيما عدا ذلك الجفاء المصطنع ، الذى
تبديه له ، وتلك الكرامة المبالغه ، التى تعامله بها ، على
الرغم من أن معاملته لها قد تغيرت كثيراً ، فهو يحاول
التعامل معها دوماً فى رقة واحترام ، إلا أنه لم يحاول
أبداً أن يبدى لها لحة حب واحدة ، مما أهان كبرياءها
كأنثى ، إذ لاحظت أنه يتقرب منها كصديق ،
لا كزوج أو حبيب ، وهذا يعنى أنه مازال يرفضها
على الوضعين الأخيرين ، بعد أن فرضت نفسها عليه
كزوجة ..

ولكنها لن تتنازل عن كبريائها أبداً ، ولن تفرض
عليه مشاعرها وحبها ..

وكثيراً ما بكّت ، فيما بين نفسها ، وهى تقول :
— الأمر خطأ منذ البداية .. ليتنى ما وافقت على
هذه اللعبة ، فأنا وحدى سأتحطم فى النهاية .

أما (طارق) ، فعلى الرغم من سعادته وثقته

بنفسه ، لانغماسه في العمل ، وتخلّصه من تلك الشخصية المدلّلة ، التي كانها في الماضي ، كانت سعادته دوماً مبتورة ناقصة ، فهناك ما يدفعه إلى التقرب من (إيمان) حيث لا يجد منها سوى كل صدمة ونفور وفتور ، وكم أدهشه أن يتبادلا الأدوار على هذا النحو ، ففي الماضي كان هو يصدّها ويعاملها في قسوة وفتور ، ويتعالى على فقرها ، وضعفها ، وانبهارها الواضح به ، وكان يلذ له أن يرى تأثير ذلك عليها . ثم هاهي ذى الأيام تجعله يسعى لاسترضائها ، ويعترف بإعجابه بها . ثم تستقبل هي كل ذلك بكبرياء وفتور . ولا مبالاة ، على حين تقضي الساعات الطوال مع ذلك المهندس (جمال) ، وعيناها تحملان له كل تقدير وإعجاب ، فتتبسّط معه ، وتخطبه باسمه مجرّداً ، كما لو كانا صديقين ..

وعلى الرغم من محاولته التظاهر بتجاهل ذلك ، خشية أن تظن إيمان أنه يغار ، إلا أنه كان يشعر حقاً بالغيرة .. بالغيرة !! .. كم أعاد هذا ذاكرته إلى عبارة

(إيمان) : « الغيرة هي ملح الحب » .. أيعنى هذا أنه قد بدأ يحبها ؟ ..

عند تلك النقطة بالذات كان يفرّ من أفكاره ، وكأنما يخشى أن تصل به إلى تلك النتيجة ، أما في هذه الليلة ، وهو جالس في حجرته بالمصنع ، فلم يفرّ من أفكاره ، بل استسلم لها ، قائلاً لنفسه :

— ولم لا ؟ .. إن (إيمان) تمتلك من المميزات ما لا يملك المرء أمامه سوى أن يحبها ، فهي جميلة ، ذكية ، ذات شخصية مستقلة ، جذابة على نحو لست أدري كيف لم ألاحظه من قبل ، ولكن (كريمة) ! .. عجباً !! .. إنني لم أعد أفكر فيها كثيراً ، وإن كنت لا أجزم بأنني لم أعد أحبها ، فما زلت أجد لها مكاناً في قلبي .. ما أعجب النفس البشرية !!

كان غارقاً في شروده وأفكاره ، حينما دلفت (إيمان) إلى الحجرة ، واقتربت منه ، قائلة :

— لماذا بقيت في المصنع ، حتى هذه الساعة ؟
رفع عينيه إليها ، وأجابها في خفوت :

- منذ متى يهملك أمرى على هذا النحو .

أبعدت عينيها ، وتظاهرت بترتيب بعض الأوراق
فوق مكتبه ، وهى تجيب :

- المفروض أننا زوجان ، وانصراف كل منا
وحده يثير الأقاويل .

قال فى مرارة :

- الأقاويل ؟ ! .. أهذا هو كل ما يقلقك ؟

حدقت فى وجهه ، قائلة :

- وقد يلحظ عمى تباعدنا أيضاً .

قال فى سخرية مريرة :

- إننى أؤدى دورى على أكمل وجه ، وأظنك

لاحظت أننى أبدى نحوك الكثير من المشاعر الجميلة فى

الآونة الأخيرة ، ولكن يبدو أنك تعجزين عن أداء

الدور نفسه .

نعممت فى ضيق :

- أهنتك ، فأنت تجيد التمثيل فى براعة ، فلقد

كنت أصدق تلك المشاعر .

***** ٨٠ *****

شعر بخطه ، فأسرع بقول :

- لقد أخطأت فهمى .. إننى لم أقصد ذلك المعنى

الذى تصوّرته .. لست أدري لماذا تجبريننى أحياناً على

قول ما لا أعنيه ؟ .. ربما كان التحدى والغطرسه فى

أسلوبك معى ، ولكننى أحمل لك بالفعل الكثير من

المشاعر الطيبة ، فأنت ابنة عمى ، ولقد نشأنا معاً ،

تحت سقف واحد ، وأشعر أحياناً بالذنب ؛ لأننى قد

قد أسأت إليك فى الماضى .

كان حديثه يلقى صدئى فى نفسها ، لولا عباراته

الأخيرة ، فهى لا تسعى لنيل عطفه أو شفقتة ، ولكنه

تقدّم على أية حال ، ولعل هذه المشاعر تقوده إلى

العواطف التى تحلم بها ، ولكن شيئاً ما فى أعماقها هتف

بها :

- لا تحلمى كثيراً .. فقد يحدث هذا أو لا يحدث ،

ولن يبق لك سوى الوهم والندم .

ابتسم (طارق) ، وهو يقول :

***** ٨١ *****

— لقد تصوّرت الشرود علة أصابتني وحدي ،
ولكن يبدو أنها قد أصابتك أيضاً .

هزّت رأسها ، وكأنما تنقض عنها الشرود ، وهي
تقول :

— يحسن أن نعود إلى المنزل الآن .

— ما زالت أمامي بعض أوراق أنوى مراجعتها .

— ولكن عمي ينتظرنا هذه الليلة على العشاء .

— اعتنري له نيابة عني ، فسأقوم بالمرور على

الوردية الليلية أيضاً .

تصنّعت عدم الاهتمام ، وهي تقول :

— كما تحب .. سأترك لك السيارة ، وأحب أن

أسجل تقديري لهمتلك ونشاطك في الآونة الأخيرة .

ثم ابتسمت مستطردة :

— بشرط أن تتخلّني عن ذلك الشرود ، الذي

ينتابك من آن لآخر .

— كيف ستعودين وحدك ، دون السيارة ؟ ..

استقلّتي سيارة المصنع .

***** ٨٢ *****

— لا تقلق بالك .. سيوصلني المهندس (جمال)
بسيارته .

اضطرب لدى سماعه الاسم ، وهتف في انفعال :

— ولماذا (جمال) بالذات ؟

تطلّعت إليه في دهشة ، قائلة :

— ولمَ كل هذا الانفعال ؟ .. أنت تعلم أنه ليس

بمجرد موظف هنا .. إنه صديق .

احتدّ ، هاتفاً :

— وما معنى كلمة صديق هذه ؟ .. الزوجة

المحترمة لا تقبل أن يكون لها صديق .

قابلت حدّته بصرامة ، قائلة :

— لست أسمح لك أن تتحدث معي على هذا

النحو .

نغمم محاولاً السيطرة على أعصابه :

— لقد أفلتت مني العبارة .. يبدو أنني أحتاج إلى

بعض الراحة حقاً .. هيّا .. سأصحبك بنفسى إلى المنزل ..

***** ٨٣ *****

شعرت أنه ما فعل ذلك ، إلا ليحول بينها وبين
(جمال) ، وعلى الرغم من الغضب المرتسم على وجهها
كانت أعماقها ترقص في سعادة ، فقد أدركت هذا
الشعور ..
الغيرة ..



***** ٨٤ *****

٩ - الكلمة الصامتة ..

قرّرت (إيمان) ، في اليوم التالي ، أن تكون
أكثر تودّداً مع زوجها ، مما دعاها إلى التفكير في
دعوته لتناول الغداء معها خارج المصنع ، ولم تكذب
تنتهى من مراجعة الحسابات ، حتى سألت الساعى :

— أين الأستاذ (طارق) ؟

أجابها الساعى :

— إنه يمرُّ على عمال العنابر الداخلية ياسيدتى ..
أتريدين أن أستدعيه .

— كلاً يا عم (محمود) .. سأذهب إليه بنفسى .
اتجهت إلى العنابر الداخلية ، ولم تكذب تشاهد زوجها
حتى اتجهت نحوه ، ولكن المهندس (جمال) قطع
طريقها ، وهو يقول في حرارة :

— (إيمان) هانم !! .. ما الذى أتى بك إلى العنابر ؟

ارتبكت ، وهى تبحث عن الكلمات المناسبة ،

مغمضة :

***** ٨٥ *****

— في الواقع .. لقد ..

قاطعها (جمال) :

— كنت في طريقى إليك على أية حال ، فلدينا

مشكلة هامة :

سألته في توتر ، وهى تتطالع إلى زوجها ، الذى

رماهما بنظرة غاضبة من موقعه :

— أية مشكلة ؟

— لدينا عجز في الكيماويات .

— ولم لم تحصل على ماتريده من أمين المعمل ؟

— المشكلة أن أمين المعمل لم يحضر اليوم ، وكذلك

المهندس (فتحى) ، والمفتاح الوحيد الباقى مع سيادتك .

— ألا يمكن تأجيل ذلك بعض الوقت ؟

— إننا نحتاج إلى الكيماويات فوراً ؛ لبدأ الخط

الثالث إنتاجه .

لم تجد لديها مفراً ، سوى أن تقول فى استسلام :

— حسناً .. تعال معى .

عادت أدراجها بصحبة (جمال) ، على حين

***** ٨٦ *****

راقبها (طارق) من بعيد بضيق بالغ ، وشرد فكره

عن ملاحظة ما جاء لمراقبته ، ثم لم يابث أن غادر العنبر

فى خطوات سريعة بحثاً عنهما ، ولما لم يجدهما فى

المكاتب ، اتجه نحو الفناء ، والتقى بزوجه هناك ،

واستقبلته هى بابتسامة رقيقة ، وهى تقول فى صوت

ودود :

— (طارق) ! .. أين كنت ؟ .. لقد سألت

عنك فى العنابر ، فقالوا إنك فى المكاتب .

قال فى انفعال :

— ولم كلّفت نفسك عناء العودة للبحث عني ؟

انتهيت من صحبة المهندس (جمال) بهذه السرعة ؟

قالت فى هدوء :

— لقد صحبت (جمال) لإحضار ال

قاطعها فى انفعال :

— لا يهمنى أين ذهبت معه ، ولكن دعيني

أذكرك باتفاقنا ، فالحرية الممنوحة لكل منا تشترط

محافظة كل على كرامة الآخر أمام الآخرين .. أليس

***** ٨٧ *****

كذلك ؟ .. ولقد رآك عشرات العمال تصحبن ذلك
المهندس داخل العنابر ، متجاهلة زوجك تماماً ، وهو
رئيسهم في الوقت ذاته و ..
قاطعة في حدة :

— ماذا تقول ؟ .. لقد ذهبت مع المهندس
(جمال) إلى المخازن ، ليحصل على بعض الكيمياويات
المطلوبة للتصنيع ، ولقد ذهبت إلى العنابر خصيصاً
لأدعوك إلى الغداء ، ولكن (جمال) استوقفني ،
وفاجأني بنقص الكيمياويات ، وعدم وجود أمين المعمل
أو المهندس المختص ، مما اضطرني لمصاحبتة ، وفتح
المعمل له ، وبعدها عدت أبحث عنك ، فلم أجذك .
لم يدر ماذا يقول ، وشعر بالخجل من انفعاله ،
وقبل أن يتغلب عليه ، اقترب أحد العمال من (إيمان)
وقال :

— يقول الباشمهندس (جمال) إنه سيحتاج إلى
كمية أخرى من المواد الكيميائية يا سيدي .
رمقت (إيمان) زوجها بنظرة صارمة ، وكأنما

تشير إلى أن هذا القول يؤكد صدقها ، ثم انصرفت
يتبعها العامل ، وتركت (طارق) وحده ، يشعر
بالخجل ، وحاول أن يناديه ، ولكن هتافه لم يتجاوز
حلقة .. لم يتجاوزه أبداً ..

تمددت (إيمان) على فراشها ، تطالع إحدى
المجلات ، وهي تتطلع إلى ساعتها من آن إلى آخر في
قلق ، فقد انتصف الليل ولم يعد (طارق) إلى المنزل
بعد ، ولقد نجحت هي في تهدئة مخاوف عمها ، بعد أن
علم من المصنع أن ابنه قد غادره في السابعة مساءً ،
وعلى الرغم من أنه لم يعلم شيئاً عن شجارهما ، إلا أنه
كان يشعر أن الأمور غير مستقرة بينهما ، وكان هذا
الشعور يراوده منذ عودتهما من شهر العسل ، على
الرغم من حرصهما على عدم إظهار خلافاتهما أمامه ..

ولقد أرهفت (إيمان) سمعها ، وهي تنتظر
عودة (طارق) ، حتى سمعت صوت خطواته ، وهو
يصعد السلم ، فاعتدلت في رقتها ، وتظاهرت

بالاستغراق في مطالعة المجلة ، حتى فتح هو الباب ،
وقال :

— أَدْخُلْ ؟

قالت ، دون أن ترفع عينيها عن المجلة :

— وهل أمنعك من دخول حجرتك ؟

جلس على حافة الفراش ، وسألها في مودة :

— ماذا تقرئين ؟

تلامس كتفاهما ، وهو يميل ليطالع المجلة معها ،

فتركتها له ، وغادرت الفراش ، ووقفت أمام النافذة ،

تتطلع إلى السماء في صمت ، فاتجه هو إليها ، وقال في

همس :

— اغفري لي حماقتي .. لقد أسأت التصرف ،

ولكن ..

قاطعته في مرارة :

— ولكنك تخشى أن أسئ إلى كرامتك أمام

الآخرين ، وهذا كل ما يهملك .. أليس كذلك ؟ ..

اطمئن ، فكرامة كل منا ترتبط بالآخر ، بسبب العقد

***** ٩٠ *****

الذي يربطنا ، وأنا ألزم دوماً بشروط كل العقود .

— ليس هذا ما أردت قوله ، ولكنك ابنة عمي ..

— فقط ؟

— وزوجتي .

— بحكم المصلحة المشتركة ؟

— كان هذا صحيحاً في البداية ، ولكن ..

— ولكن ماذا ؟

— إنني .. إنني أشعر بالغيرة عليك يا (إيمان) ..

الغيرة لمجرد التفكير أنك في صحبة ذلك المهندس الشاب ...

لقد كنت أعتبر الغيرة دوماً شعوراً أحق ، من الغباء أن

يستسلم الإنسان له ، ولكن هأنذا أستسلم لها ، وأسمح لها

بدفعي إلى إساءة التصرف معك أيضاً .. أليست تفسير

لذلك ؟

أجابته في وجوم :

— خوفك على كرامتك ، والتزامك بكوني ابنة

عمك ، على الرغم منك .

هز رأسه نفيًا ، وهو يقول :

***** ٩١ *****

— كلاً.. ليس هذا هو التفسير الصحيح .. ولكن..

بتر عبارته ، فتطلّعت إليه في لفة وأمل ، وخفق قلبها في عنف ، وهي تتساءل في أعماقها :

— أسينطق تلك الكلمة ، التي طالما تمنّتها وحلمت بها يا ثرى ؟ .. أسيقول لها إن السبب هو أنه يحبها ، وأن مشاعره قد تجاوزت معها أخيراً ..

انبعث فجأة رنين الهاتف داخل الحجرة ، وانتزع معه أملها ، إذ تجمدت الكلمات على شفّتي (طارق) ، والتقط سماعة الهاتف ، وهو يقول :

— من المتحدث ؟

صمت لحظة ، ثم هتف :

— (كريمة) ؟ .. أنت هنا ؟ ! في (القاهرة) ؟ !

شعرت بغصّة في حلقها وقلبها ..

لقد أتت تلك المحادثة ، لتنتزع منها ..

لتقتل أملها ..

لتقتلها ..

١٠ - حبي المذبذب ..

لم تكد سيارته تغيب عن عينيها ، وهي تتطلّع إليها من خلف النافذة ، وهو في طريقه للقاء (كريمة) ، حتى شعرت وكأن روحها قد فارقت جسدها ، وراحت تبكي ، قائلة :

— لقد ذهب إليها .. تلاشت كل مشاعره نحوى ، فور سماعه صوتها .. لقد نسي حتى أن يصحبني إلى المصنع كعادته .

شغلت نفسها طيلة اليوم بعدد من الأعمال المرهقة في المصنع ، في محاولة للفرار من مرارتها وألمها ، وعاد (طارق) في المساء ليجدها جالسة إلى جوار والده ، حول مائدة العشاء ، فحيّاهما في مرح ، قائلاً :

— مساء الخير .. من حسن الحظ أن العشاء جاهز فأنا أتصوّر جوعاً .

قالت (إيمان) بنبرة ذات مغزى :

— ألم تدع صديقك ، الذى ذهبت للقاءه ، لتناول طعام العشاء .

جلس ، وهو يقول فى هدوء :

— لقد اكتفيت بدعوته إلى الغداء .

عبس وجهها فى ضيق ، على حين قال له والده :

— كان ينبغى أن تخبرنى أنك لن تذهب إلى

المصنع اليوم .

— عفواً يا أبى .. كان موعدى مع صديقى عاجلاً

هاماً ، مما حال دون ذلك .

وأخذ يتناول طعامه فى هدوء ، دون أن يعبأ

بـ (إيمان) ، التى تتميز غيظاً ، ولم يكده ينتهى من

طعامه ، حتى استرخى فوق مقعد وثير ، وذهب والده

ليستريح فى حجرته ، على حين ظلت (إيمان) تروح

وتغدو داخل حجرتها ، تحاصرها الأفكار والظنون ،

حتى لم تعد تحتمل ، أو تطيق صبراً ، فهبطت إلى حيث

يجلس هو ، وقالت ، وهى تدق الأرض بقدميها فى

غضب :

***** ٩٤ *****

— كان ينبغى أن تسدد الكثير من حسابات المصنع ،
قبل أن تذهب للقاء صديقك .

ابتسم فى هدوء ، وهو يقول :

— لقد ذهبت إلى المصنع ، قبل عودتى إلى هنا ،

وعلمت أنك قد قمت بالمهمة على خير وجه ، والحق

يقال إنك شريكة يعتمد عليها يا زوجتى العزيزة .

أثارها نبرة الاستخفاف فى صوته ، فقالت فى

انفعال :

— هذا لا يعنى أن تلقى التزاماتك على كاهلى ،

فلكل منا دوره فى القيام بأعباء العمل .

ظل محتفظاً بإبدسامته المستخفة ، وهو يقول :

— لا بأس .. سأتولى بعض المسئوليات عنك غداً ،

يمكنك أن تحصلى على إجازة غداً ، وتركى لى أعباء

المصنع كله ، المهم ألا تفسدى سعادتى الليلة بشجار

مفتعل .

هتفت فى حدة :

— أنا ممن يفتعلون الشجار ؟

***** ٩٥ *****

زفر (طارق) ، قائلاً :

— كلاً .. بل أنت فتاة لطيفة ، فلا تمثلى دور
الجافية .. إنك متعبة الآن .. أليس كذلك ؟ .. اصعدى
إلى مخدعك ، وحاولى الحصول على قسط من النوم .

ازداد انفعالها ، وهى تهتف :

— إنك تحدثنى كما لو كنت طفلة .

فجأة نهض من مقعده ، وحملها كالطفلة ، وراح
يصعد بها إلى أعلى ، فقاومته فى حدة ، حتى دفع باب
حجرتهمما بقدمه ، وأجلسها على طرف الفراش ، قائلاً :
— فى البيت خدّم لهم آذان .. قولى ما تشائين هنا
فقط .

جلست تلهث ، دون أن تفوه بكلمة ، وقد أنعشها
أن حملها فارس أحلامها بين ذراعيه ، وأحاط كتفها
بذراعيه القويتين ، فتنهّدت ، قائلة :

— ليس لدى ما أقوله .

— إذن نامى .

أسندت مرفقها إلى ركبته ، واستندت بذقنها إلى
قبضتها المضمومة ، وهى تقول :

— لست أرغب فى ذلك .

راح يبدّل ثيابه فى هدوء ، وهو يقول :

— أما أنا فسأفعل ، فأنا مرهق للغاية .

ألقي نفسه على الفراش ، وحوّل وجهه عنها ،
فسألته فى توتر :

— لا ريب أنك متعب من السير طويلاً مع (كريمة) .
قال فى سخرية :

— لماذا ؟ .. أنسيت أننى أملك سيارة ؟ !

تطلّعت إليه بطرف عينيها ، وهى تقول فى فضول :

— أجمعت لتتفق معك على شيء جديد ؟

تقلّّب مستلقياً على ظهره ، واتسعت ابتسامته ،
وهو يقول :

— المرأة هى المرأة .. دائماً فضولية وغيرة .

قالت فى غضب :

— يؤسفنى أن أردت الاطمئنان عليك .. أنت

تعلم أن الفضول ليس من صفاتي ، ولقد طرحنا الغيرة
من علاقتنا منذ البداية .. أنت فقط اعترفت بالغيرة
أمس .

اعتدل جالساً ، وهو يقول :

— لأنني أكثر صراحة منك ، أما أنت فتخفين
مشاعرك خوفاً أو غروراً .. لم لا تكشفين مشاعرك ،
بدلاً من إجهاد نفسك لإخفائها ؟ .. من المحتمل أن
يقرب ذلك بيننا .

كادت تصارحه بمكنونات قلبها ، إلا أنها تمسكت
بكبريائها ، وهي تقول :

— أية مشاعر ، تلك التي أخفيها ؟ .. لست أدري
ما الذي يصوره لك خيالك ؟ ولكنني أريد منك أن تعلم
أنني لا أحمل لك أية عواطف من النوع الذي تتصوره ،
قد يقلقني شأنك ، أو يفرحني نجاحك ، ولكن هذا
بسبب صلة القرابة بيننا فحسب ، ولست مشغولة عما
يذهب إليه خيالك خلاف ذلك .

***** ٩٨ *****

تطلّع إليها بعينين محبطتين يائستين ، ثم لم يلبث
أن قال في حزن :

— حسناً .. اغفري لي خيالاتي وأوهامي ، فالقلب
قد يخدع صاحبه أحياناً .

وألقي رأسه على الفراش ، وحوّل وجهه عنها ،
فهتفت أعماقها تؤنبها :

— ماذا تفعلين به وبنفسك ؟ .. إن كلماته تحمل
لك الكثير ، فلم توصدين باب قلبك في وجهه هكذا ؟
هل استعذبت القيام بدورك إلى النهاية ؟ .. ولكن ..
ولكنه كان معها .. أليس كذلك ؟ .. وليكن .. لم
لا تدخلين معها ساحة المنافسة على الأقل ؟ .. لقد بدأ
يشعرك ، والحيرة تنتاب مشاعره ، وتجذبه إليك
تارة ، وإليها تارة ، فلم لا تنتهزين الفرصة ، وتجذبينه
إليك ؟ .. كلاً .. لن يتم الأمر على هذا النحو .

تناقضت مشاعرها ، وتصارعت كما لو كانت
شخصيتين متناقضتين ، فتطلعت إليه وهو نائم ،
وواصلت حديثها مع نفسها :

***** ٩٩ *****

١١ - وداعاً للصدر الحنون ..

انترعت صرخة مدوية (طارق) من حجرته
بالمصنع ، وجعلته يندفع خارجاً ، صائحاً :
- ماذا هناك ؟

أجابه أحد العمال في هلع :

- لقد شبَّ حريق في مخزن المعدات ..

اندفع نحو المخزن ، واختلط بالعمال ، الذين يحملون
أدوات الإطفاء ، وهتف بهم :

- هل استدعيت رجال الإطفاء ؟

- نعم .. منذ لحظات .

رأى أحد العمال مصاباً بانهييار هستيري ، فسأل :

- ماذا به ؟

- ابنه داخل المخزن ، وما من وسيلة لإخراجه .

اختطف (طارق) غطاءً صوفياً ، واندفع في

جسارة نحو المخزن ، والجميع ينشدونه التراجع ، ووجد

***** ١٠١ *****

- الحياة أقصر من أن نقضيها في العذاب والعتاب

يا (طارق) .. ارحمني ، وأدرك ببصيرتك مدى حبي
لك .. احفظ ماء وجهي وكبريائي ، فلا خير في حب
يستجديه المحب ، وغرام يلتهمه المغرم التماساً .. إنك
الآن قريب مني ، وقد تكون أقرب إليها ، فالعبرة
ليست بالأجساد ، وإنما بالنفوس والأرواح .. وأنا
أتعذَّب يا (طارق) .. أتعذَّب ؛ لأنك إلى جوارى ،
وأخرى تشغل تفكيرك ، وتملاً قلبك .. أتعذَّب ..
ثم أجهشت ببكاء حار ..



***** ١٠٠ *****

الصبي منكشاً في أحد الأركان ، فرعاً مدعوراً ،
فهتف به :

— اطمئن .. سأخرج بك من هنا سالماً بإذن الله .
والتقط مقعداً معدنياً ، حطّم به لوحاً زجاجياً
أعلى الجدار ، وهو يقول :
— اصعد على كتفي ، وتدلّ من تلك الفتحة ،
وستجد عاملاً مستعداً لالتقاطك .

كانت النيران تزحف في سرعة ، والموقف أشبه
بالجحيم ، حينما وصلت (إيمان) ، وسألت أحد العمال
في ذعر وجزع :

— ماذا حدث ؟

— لقد شبّ حريق في مخزن المعدات ، والأستاذ
(طارق) بالداخل ، يحاول إنقاذ ابن الريس (أمين) .
ارتسم على وجهها تعبير مروّع ، وهي تصرخ :
— (طارق) !؟ .. كلاً .

حاولت اقتحام المخزن خلف زوجها ، ولكن

***** ١٠٢ *****

المهندس (جمال) ، وبعض العمال اعترضوا طريقها ،
فراحت تبكي ، وتصرخ في هستيرية :

— دعوني .. دعوني .. إنه زوجي .
تلاشت صرختها ، حينما رأت الصبي قادماً ، يحمله
أحد العمال ، وأبوه يندفع نحوه ، باكياً ، هاتفاً :
— حمداً لله .. حمداً لله .

هتف العامل ، الذي يحمل الصبي :
— اطمئني يا سيدتي .. لقد نجا (طارق) بك ،
وها هو ذا يأتي .

اتجه بصرها إلى حيث أشار الرجل ، فرأت (طارق)
يقترّب منها الكأ ، منهكاً ، فاندفعت نحوه في سعادة
غامرة ، وألقت نفسها بين ذراعيه ، وأجهشت ببكاء
حار ، وهي تقول :
— حمداً لله .. حمداً لله على نجاتك يا حبيبي ...
أصابعك مكروه ؟

— لا شيء .. بعض الحروق البسيطة .
ملأت عينيها بوجهه في لفة ، ثم عادت تلتقي رأسها

***** ١٠٣ *****

على صدره ، وهى تحيط جسده بذراعيها ، هاتفة :
— حمداً لله .. حمداً لله .

ومن العجيب أنه نسى كل آلامه ، حينما وجدها
بين ذراعيه ..

لقد أدهشه ذلك فى البداية ، خاصة مع عواطفها
المتدفقة ، التى لم يعهد لها فيها من قبل ، ثم لم يلبث ذلك
الإحساس ، الذى خامره وهوى راقصها فى (الإسكندرية)
أن عاوده ، بأن كليهما ينتمى إلى الآخر فقط ، ورفع
أصابعه يتحسس شعرها فى حب وحنان ، واستغرقت
عواطفه ، حتى أنه نسى كل من حوله ، وشعر أنه
يمتلك — فى هذه اللحظة — كل العالم .. بل الكون ..

جثت (إيمان) على ركبتيها أمامه فى القفلا ، تداوى
جراحه وحروقه ، وهو مستسلم لها ، حتى باغتها برفع
وجهها إليه بأنامله ، قائلاً :

— (إيمان) .. لم حاولت اقتحام المخزن المشتعل
خلفى ؟ .. لم انخرط فى بكاء هستيرى ، وأردت

***** ١٠٤ *****

المخاطرة من أجلى ؟ .. لماذا شعرت بفرحة طاغية
لنجأتى ، جعلتك تلقين نفسك بين ذراعى ؟ .. أريد
إجابات صريحة .. أرجوك .. لست أحب أن أسمع تلك
التسريحات عن صلة القربى ، ونشأتنا معاً .. أريد إجابات
تشفى غليلي .

تأملته برهة ، قبل أن تقول :

— لقد خاطرت بنفسك لإنقاذ صبي .. أتصورتنى
أقف ساكنة ، وزوجى يواجه الموت ؟

— أهذه كل إجابتك ؟

— أريد إجابة أخرى ؟

— بل أريد إجابة صادقة .

— أتهمنى بالكذب ؟

— نعم .. ومنذ البداية ، فلا يمكن أن أكون قد
أخطأت تفسير مشاعرى ، وأنت ترتجفين بين ذراعى .
— كنت فى حالة ارتياح .

— ولكننى أحسست الشئ نفسه ، حينما كنت
أراقصك فى (الإسكندرية) .. هل تذكرين ؟

***** ١٠٥ *****

أرادت أن تتملص من محاصرتها لها ، فنهضت
قائلة :

— لقد انتهيت من تضميد جراحك ، يمكنك أن
ترتدى قميصك .

أمسك معصمها ، قائلاً :

— ما زلت أنتظر جوابك ، ولن تغادرى الحجرة
قبل أن أسمع .

جذبت معصمها من يده في رفق ، وهي تقول :

— بالمناسبة ، حروقك سطحية ، ولن تمنعك من
لقاء (كريمة) لو أردت .

هبَّ من مقعده ، وأمسك كتفها ، قائلاً في
انفعال :

— دعك منها الآن ، وأجيبنى في صراحة .. هل
تخبيني ؟

ارتجفت ، وهي تحاول الإفلات منها ، إلا أنه
منعها في قوة ، وعيناه تحملان التوسل والرجاء ،
فأجهشت بالبكاء ، وهي تهتف :

***** ١٠٦ *****

— (طارق) .. دعنى .. أرجوك .

وفجأة اختلطت بهتافها صرخة ملتمعة ، دوَّت في
أرجاء المنزل ، ودفعتهما للإسراع نحو مصدرها ،
لتستقبلهما الخادمة ، وهي تهتف في ألم وبكاء :

— فليرحمك الله يا (منصور) بك .. فليرحمك الله .

اتسعت عينا (طارق) في ذهول ، وتهالكت قدماه ،
وهو يتشبث بإفريز السلم ، غير مصدِّق ، على حين
استندت (إيمان) إلى الحائط في هلع ..

لقد مات عمها ..

مات الأمن والأمان ..

ماتت الحقيقة ..



***** ١٠٧ *****

جثمت الأحزان على المنزل لأكثر من شهر كامل
تحوّل خلاله (طارق) إلى شخص آخر ، فأهمل مظهره
ونمت لحيته ، وصار حزينا صامتا ، نادماً على علاقته
السيئة بوالده طيلة عمره ، ومنذ التصاقه بأمه في طفولته ،
وبعد أن رحل أبوه ، شعر لأول مرة بيم حقيقي ، لم
يعرفه بعد وفاة أمه .. لقد أدرك الآن فقط أنه كان
يحب والده حباً جمّاً ، وأن حب والده الصامت له كان
أقوى من كل مظاهر الحب العلانية ، فلقد كان يسعى
لتحقيق مصلحته دوماً ، وإن غلّف ذلك بإطار قاس ،
وهو يرى بعين الأب ، ما لا يراه هو بطيشه ونزقه ..
حتى في زواجه بـ (إيمان) ، كان الأب يدرك بحكمته
أنه أفضل له ، وأنه سيصنع منه رجلاً آخر ..
وانحدرت العبرات على وجنتيه ، وهو يردّد في
صوت أقرب إلى الخشوع :
- رحمك الله يا أبي .. كم أتمنى أن تغفر لي كل
أخطائي في حقلك .

أما (إيمان) فقد كانت أكثر حزناً وانهيأراً ، فلم
يكن الرجل - بالنسبة لها - مجرد عم ، وإنما كان أباً
حقيقياً حنوناً ، منحها كل حبه ورعايته ، حتى أحست
بعد موته بانهيار صرح أمنها وأمانها ، وبضياع شجاعته
وقوتها وحبها ، وعلى الرغم من ذلك كانت تسعى
للتخفيف عن زوجها ، وانتزاعه من حزنه العميق ،
متظاهرة بالقوة ، ومستعينة بالإيمان ، الذي تحمل اسمه ،
وإن ظلت أحزانها أقوى من كل شيء ..

ولقد تغلّب (طارق) على أحزانه ، بعد خمسة
وثلاثين يوماً من وفاة والده ، فعاد إلى العمل ، وتقبّل
تعازي العاملين في هدوء ، قائلاً :

- أشكر لكم مشاعركم الطيبة ، لقد كان أبي
- رحمه الله - يعتز بكم دوماً ، ويقول إن نجاح المصنع
يعود إلى سواعدكم وإخلاصكم ، الذي حولنا في النهاية
إلى أسرة واحدة ، عليها - مهما جابهت من متاعب
وأحزان - أن تدرك أن الحياة لن تتوقف أبداً ، وأن
أفضل تكريم لذكرى أبي ، هو أن نمنح روحه المزيد

من نجاح المصنع ، ونتكاتف جميعاً لمزيد من التقدم ،
ولتعلموا أنني مستعد لتلبية طلباتكم دوماً ، مثلما كان
يفعل هو (رحمه الله) .

استقبل العمال كلماته بالتقدير والإعجاب
والاحترام ، وشاركتهم (إيمان) مشاعرهم ، وهي
تقرب منه قائلة :

— كم أشعر بالفخر بك .. لقد تغيرت كثيراً
يا (طارق) .

ابتسم في حزن ، وهو يتطأع إليها ، قائلاً :

— لا تنسى أن لك دوراً في ذلك .. الحق بي في
مكتبي ، فلدي ما أقوله لك .

انصرف إلى مكتبه ، وتابعته هي ببصرها ، ثم
أمرت الجميع بالعودة إلى مواقعهم ، ولحقت به ،
فرأته منهمكاً في توقيع بعض الأوراق ، ولم يكدرها
حتى دعاها إلى الجلوس ، وقال :

— (إيمان) .. إنني مضطر للسفر بعد قليل إلى

***** ١١٠ *****

(الإسكندرية) ، فهناك أمور أحب أن أرتبها مع
(كريمة) .

طعنت كلماته قلبها في عنف ، وأيقظت في صدرها
تلك الحقيقة ، التي أصبح من المحتم مواجهتها ، بعد
رحيل عمها ، واستمعت إليه في مرارة ، وهو يستطرد :
— اصبر في بعض الحوافز للعاملين ، وإذا
ما اضطررت للتأخير ، سأعتمد عليك في إدارة
العمل هنا .

أجابته في ألم :

— أعتقد أن دوري بالنسبة للمصنع قد انتهى ،
فهو مصنعك وحدك ، وكل الأوراق المتعلقة بالبيع
أوراق صورية ، سأسلمها لك لتمزقها ، أو تحتفظ بها .

قال في برود :

— ولكن هذا يتعارض مع أساس زواجنا .

— إنه أساس باطل ، فلقد كان هدف عمي الوحيد
من ذلك ، هو أن تتولى مسئولياتك في المصنع ،
وتتحرر من الشخصية الضعيفة الطائشة ، التي كنتها ،

***** ١١١ *****

وكان يعتقد (رحمه الله) أن زواجنا سيُسهم في ذلك ،
وأظن أن هدفه قد تحقق ، ولم يعد هناك داع لاستمرار
التمسك بالاتفاق .

— ولكنتي أذكر أنه أراد أن يؤمن لك حياة
موسرة بعد موته ، كما أنك في النهاية ابنة عمي ، ولن
أسمح لنفسى بالجور على حقوقك .

— وابنة عمك تتنازل لك عن كل شيء .

— أنت واثقة من أنها رغبتك ؟

— نعم .. وأرغب في نيل الطلاق بسرعة .

— كما تحبّين ، ولكن ألا يمكننا تأجيل ذلك بعض
الوقت ؟

— لماذا ؟

— سأجرى بعض الترتيبات مع (كريمة) أولاً ،

ثم نتفق على كل شيء معاً ، عند عودتي .

— بشرط أن أغادر الفيلا الليلة .

— إلى أين ؟

***** ١١٢ *****

— إلى منزل أبي في (المطرية) .. مازلت أملك
مفتاحه .

نهض من خلف مكتبه ، وتقدّم نحوها ، وحدثني
في عينيها ، قائلاً :

— (إيمان) .. ألسنت ناقة على ؟

تطلّعت إلى وجهه ، وكأنها تريد أن تملأ عينيها
بملاحه ، قبل أن تحين لحظة الفراق ، وقالت :

— كل ما أرجوه لك هو حياة سعيدة هائلة دوماً .

غادر حجرته ، وتركها وحدها ، فاغرورقت
عيناها بالدموع ، ولم تلبث أن انخرطت في بكاء حار ،
مودّعة حلمها ، وتثبّت آمالها ، بعد أن ضاعت منها
أسطورة الحب الوهمي ، الذي تصوّرت أنها ستحصل
عليه يوماً ، من حبيبها الوحيد في هذا العالم ، ولم يعد
أمامها سوى أحزان طويلة ممتدة ، وشقاء بلا نهاية ..

عادت إلى المنزل ، لتجمع حاجاتها ، استعداداً
لمغادرته ، وراحت تتأمّل ما حولها ، وكل ركن يعيد

***** ١١٣ *****

إليها ذكرى لقاء مع (طارق) ، وكل قطعة أثاث تعيد
ذكرى لحظة لها معاً ، وتركت عبراتها تذال على
وجنتها في استسلام ، واتجهت نحو مكتبها الصغير ،
القابع في أحد أركان الحجرة ، بحثاً عن مجموعة
من المذكرات والأوراق ، التي سجلت فيها خواطرها
منذ الطفولة ، وبثتها كل مشاعرها وعواطفها تجاه
(طارق) ، والتي ستبقى ذكرى حبها الضائع ، وقلبها
المهزوم ..

ولدهشتها وذعرها ، لم تجد الأوراق والمذكرات
في مكانها ، فأصابها الاضطراب والحيرة ، وصاحت
تنادى الخادمة (أمينة) ، التي هرعت إليها على الفور ،
فسألتها في توتر :

— ألم تعثرى على بعض الأوراق هنا ؟

— كلاً يا سيدتى .

— أين ذهبت أوراقى إذن ؟

هتفت الخادمة ، وهي تنفي التهمة عن نفسها في

ذعر :

***** ١١٤ *****

— لست أعلم شيئاً عنها يا سيدتى .. أقسم لك ،
فهذا الدرج مغلق دوماً ، وقلما أقرب منه .

غمغمت (إيمان) ، وكأنها تحاول تهدئة انفعالها :

— حسناً .. اذهبي أنت .. لعل هذا أفضل ،

فلا جلوى من اجترار ذكريات مريرة .

— ماذا تقولين يا سيدتى ؟

— ليس هذا من شأنك .. اذهبي .

غادرت الخادمة الحجرة ، ولم تكد تغلق الباب

خلفها حتى ابتسمت في وجه (طارق) ، الذى أشار

إليها بالصمت ، ثم دلف إلى الحجرة في صمت ، واتجه

على أطراف أصابعه نحو (إيمان) ، ووقف خلفها ،

ومدّ لها يده بأوراقها ومذكراتها ، قائلاً :

— أتبحثين عن هذه الأوراق ؟

التفت إليه في دهشة وذعر ، ورأته يتسم في

هلع ، فتراجعت بمقعدها في حدة ، وألجمتها المفاجأة

وهتفت في دهشة :

— ألم تسافر إلى (الإسكندرية) ؟

***** ١١٥ *****

— كلاً .. لم أخفيت عنى حقيقة مشاعرك ، كل هذا الوقت ؟

— أية مشاعر ؟

— تلك التى سجّلتها فى أوراقك ومذكراتك ،
والتي تكشف عن مدى حبك لى منذ الطفولة .. كيف
أمكنك أن تحمل كل هذا الحب بين جنباتك ، طوال
كل هذه السنين ، دون أن تبوحى بكلمة واحدة منه ؟
انتزعت أوراقها من يده فى لهفة ، وكأنها تنتزع
دليل إدانتها ، وهى تهتف :

— كيف تسمح لنفسك بفتح درجى الخاص ؟

— لم أفتحه .. أنت نسيته أمس مفتوحاً ، وكنت
أبحث عن قلم ، حينما وقعت عينى على هذه الأوراق
بالمصادفة ، وعرفت منها كل الحقيقة ، التى كنت أشعر
بها . وأتمنى التأكد منها .

— لن تغيّر تلك الحقيقة من الأمر شيئاً ، فأنت
فى سبيل الزواج من الفتاة التى أحبتها .

— تقصدين التى كنت أتصور أنى أحبها ، حتى

عرفت حقيقة مشاعرى بقربك .. كنت سأرتكب أكبر
خطأ فى حياتى ، لو تزوّجت (كريمة) ، أو أية مخلوقة
أخرى سواك ؛ لأنك الإنسانية الوحيدة ، التى أحبتها
حباً حقيقياً .

ارتجفت وهى تستمع إليه ، وخفق قلبها بين
ضلوعها فى عنف ، وهى تغغم :

— (طارق) .. أرجوك .. لا شئ يجبرك على
قول هذا .. لا تجعل ما قرأته فى أوراقى يدفعك إلى قول
ما لا تريد .

تطلّع إليها فى حنان ، وهو يقول :

— أيتها الحمقاء .. لم لا تفهمين ؟ .. لقد
أحببتك .. أحببتك بكل صدق وقوة ، أحببتك قبل
أن أقرأ مذكراتك وأوراقك .. فقط كان ينقصنى
التأكد من أنك تشاركينى عواطفى ، وتبادلينى ذلك
الحب ، الذى كنت تُخفينه دوماً خلف قناع من الجمود
والكبرياء .

— وماذا عن (كريمة) ؟

— لقد خرجت من حياتي ، منذ تلك الليلة التي التقيت بها فيها ، يوم اتصلت بي هنا هاتفياً .. لقد التقيت بها ؛ لأخبرها بأن كل شيء بيننا قد انتهى .. لقد كان الأمر قاسياً لي ولها ، بعد السنوات الطويلة التي جمعتنا ، وبعد انتظارها لي طوال سنوات سفرى إلى (أوروبا) ، ولكنني أخبرتها أن عواطفنا لم تكن ناضجة وقت اتقنا على خطبتنا ، وقلت لها إن قلبي لم يعد ملكاً لها ، بعد أن صار ملكاً لزوجتي . وتطلع إليها في عتاب ، مستطرداً : — زوجتي الحمقاء ، التي حرمتني هذا الحب طوال زواجنا .

بكت (إيمان) من فرط سعادتها ، وهي تشاهد حلم عمرها يتحول أخيراً إلى حقيقة ، وقالت في فرح : — أردت أن أرى الحب في عينيك ، قبل أن أبوح لك بسرّي ، لقد رضيت أن أكون زوجة مفروضة ، أملاً في أن أصبح حبيبة مرغوبة .

— إذن فأنت تعترفين بالهم المنسوبة إليك ؟

***** ١١٨ *****

دفنت رأسها في صدره ، وهي تقول : — نعم يا حبيبي .. أعترف لك بأن حبك يسرى في كل قطرة من دمي ، وأنا على أتم استعداد لتوقيع هذا الاعتراف عشرات المرات . — أتقبلين العقوبة ، التي أوقعها عليك ، جزاء اعترافك ؟

ابتسمت ، وهي تمسح دموعها ، قائلة : — نعم .. أتقبلها راضية .

حملها بين ذراعيه ، قائلاً : — حسناً .. هيئاً بنا .

ضحكت ، وهي تسأله في سعادة :

— إلى أين ؟

— إلى (الإسكندرية) .

— (الإسكندرية) مرة أخرى ؟!

— نعم .. سنقضى شهر عسل حقيقي هذه المرة ،

ولقد اتفقت مع المهندس (جمال) على إدارة المصنع في

***** ١١٩ *****

غيابنا .. سننسى هذه المرة كل الحزن والعذاب
والحرمان ، ونستمتع معاً بكل شيء ، وعند عودتنا
ستكونين شريكتي في المصنع ، وفي قلبي .
طوّقت عنقه بنزاعها ، وذابت معه في سعادة لم
يعرفها أحدهما من قبل .. سعادة حقيقية ..

(تمت بحمد الله)



المؤلف
أ. شريف شوقي

السلسلة الوحيدة التي لا يجد الأب أو الأم حرجاً من وجودها بالمنزل

حبى المعذب

كانت تحبه منذ طفولتها ،
وشاء لهما القدر أن يتم
زواجهما كجزء من صفقة ، على
حين كان قلبه معلقاً بحب
أخرى .. ترى هل يشعر يوماً
بحبها له ؟ أم يتركها وحيدة ،
بحب بائس معذب ؟ ..



التمن في مصر
وما يعادل دولاراً أمريكياً في سائر
أفريقيا والعالم

